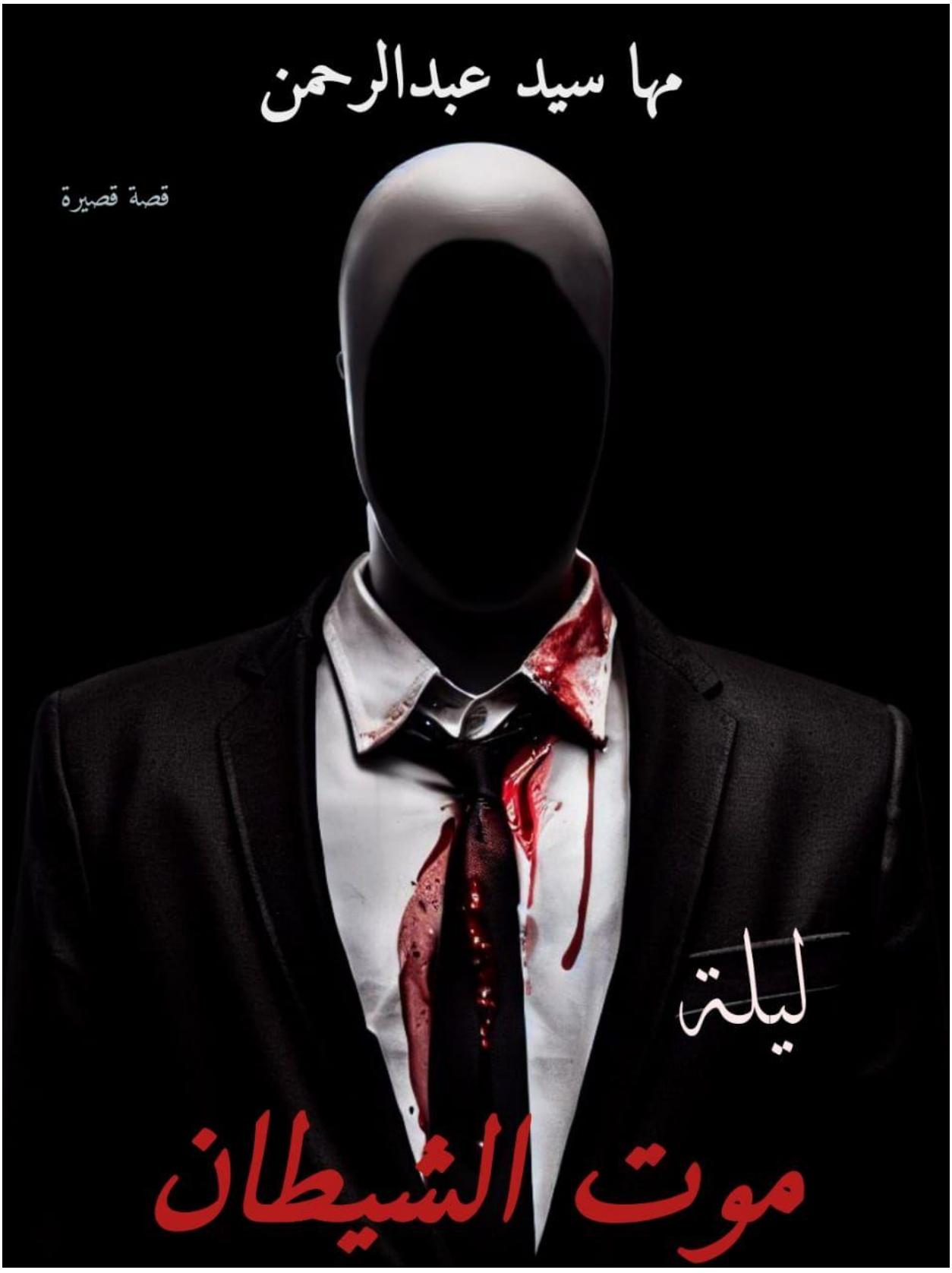
مها سيد عبدالرحمن
قصة قصيرة
ليلة
موت الشيطان

الجزء الأول

بعينيه الثاقبتين حلقت نظراتٌ فاحصة تجوب الأرجاء من حوله وهو ينزل من السيارة، تثبتت أنظاره على المنزل ذو الطابقين أمامه، يحمل كل طابق شرفتين، نظراتٌ مذعورة تطل بوضوح من أعين الأشخاص الواقفين في الشرفات يتابعون المشهد في الأسفل حيث عشرات الرجال يتجمهرون أمام مدخله، أغلبهم من رجال الشرطة والبحث الجنائي والبعض الآخر من سكان المنطقة،

-"تفضل سيادة المحقق يمكنك الدخول والصعود إلى الطابق الثاني حيث شقة القتيل"

أومأ المحقق مراد سراج الدين برأسه في امتنان وهو يعبر مدخل المنزل بخطواتٍ متعجلة يتبعه مساعده آدم صلاح، لم تكن رؤية شقتين في الطابق معلومة جديدة بالنسبة له فقد أدرك ذلك فور رؤية الشرفات قبل قليل، صعد السلم إلى الدور الثاني ثم انعطف يميناً حيث يظهر بوضوح أنها شقة القتيل لما يحيط بمدخلها من رجال الشرطة الذين أفسحوا له الطريق فور رؤيته، فمن لا يعرف المحقق الشهير مراد سراج الدين ذائع الصيت الذي لا تقف أمامه جريمة مهما كانت درجة تعقيدها، توقف لثواني أمام لوحة معلقة على الجدار مكتوب عليها:

-"المحامي/ أشرف مختار"

ألقى نظرة على باب الشقة والذي كانت لا تظهر عليه أي علامات للكسر مما يؤكد أن المجني عليه قد فتحه بنفسه أو أنه قد فُتح بالمفتاح، ثم تابع سيره نحو غرفة المكتب حيث جثة القتيل ترقد هامدةً في منتصفها، شرع على الفور بفحصها مرتدياً قفازاته، عمود معدني ذو طرف حاد يشبه البرج مثبت على قاعدة خشبية، يبدو أنه كان أحد ديكورات مكتب القتيل، قد انغرس في رقبته من الخلف، نزف منه كمية كبيرة من الدماء شكلت تلك البركة التي ترقد بداخلها جثته، يظهر مبدئياً أنه سبب الوفاة، أحد الكراسي أمام المكتب قد تحرك من مكانه لمسافة ليست قليلة مما يرجح احتمال حدوث شجار أو أن سقوط جثة القتيل عليه هي التي حركته، تجول مراد في الغرفة يفحص في حذرٍ شديد أرفف المكتبة الضخمة التي تحتل الجدار الغربي بأكمله والمملوءة عن آخرها بملفات القضايا، فتح إحدى الدواليب الصغيرة المتراصة على جانبي المكتبة ليجد بداخلها خزنة متوسطة الحجم، مفتوحة وفارغة، زمَّ شفتيه في اهتمام فتلك ملاحظة قد تكون لها دلالة قوية على دافع الجريمة، تبادل

بعض الأحاديث مع رجال البحث الجنائي يخبرونه عن هاتف القتيل المفقود، ثم تركهم ليتابعوا عملهم من رفعٍ للبصمات ومن ثَمَّ نقل الجثة إلى المشرحة، بينما قرر هو البدء في مباشرة التحقيق من داخل المنزل بعدما أصدر أوامره بالتحفظ على جميع السكان حتى انتهاء التحقيقات، نزل إلى الأسفل حيث غرفة البواب في الحديقة تقع على يمين مدخل المنزل، والذي ما أن وقعت أنظاره عليه حتى ارتعد جسده في ذعر، رمقه المحقق مراد بنظراته المتشككة الجامدة ليثير في قلبه المزيد من الرعب قبل أن يطرح عليه سؤاله الأول:

-"ما اسمك؟ ومتى بدأت العمل هنا"

بصوتٍ مرتجف يكاد يغادر شفتيه وعينان زائغتان أجابه:

-"شعبان عبد التواب أنا أعمل هنا منذ قرابة العشرون عاماً"

-"متى شاهدت المجني عليه للمرة الأخيرة؟"

-" نحو الساعة الثانية ظهراً حينما غادر المنزل، لكنني لم أكن موجوداً حين عودته كنت أشتري بعض الأغراض للسيدة نوال"

حك المحقق مراد ذقنه ورنا ببصره نحو آدم الذي كان منهمكاً في تدوين كل كلمة تجري خلال التحقيق وكذلك سيفعل حيال جميع التحقيقات التي سيجريها مراد مع سكان المنزل، تبادلا نظرةً ذات مغزى بعد عبارة شعبان الأخيرة، ثم طرح مراد سؤاله التالي عليه:

-"سمعت أن جميع سكان هذا المنزل هم أقارب أليس كذلك؟!"

أومأ شعبان برأسه إيجاباً وهو يجيبه في حماس:

-"نعم يا سيدي هو كذلك بالفعل! فالمنزل بناه السيد مختار رحمه الله وخصص شقة لكل واحد من أبنائه، السيد أشرف هو الأخ الأكبر ويعيش بمفرده فقد تزوج بعد تخرجه من الجامعة مباشرةً لكنه انفصل عن زوجته بعد عامٍ واحد فقط ولم يتزوج ثانيةً، أما السيدة نوال فهي زوجة أمجد الأخ الثاني، وقد توفي زوجها منذ نحو سبع سنوات، وهي تسكن في الشقة المجاورة لشقة أشرف مع طارق ابنها الوحيد، أما الشقتين في الطابق الأرضي فإحداهما ملك الأخ الثالث أكرم لكنه لا يعيش هنا منذ

سنواتٍ طويلة، وهو يداوم على تأجير شقته، يؤجرها حالياً لزوجين يعيشان فيها منذ سنتين السيد علاء وزوجته هدى، أما الشقة الرابعة فهي تخص المرحومة سمية الأخت الرابعة لأبناء السيد مختار، وتعيش فيها ابنتيها سارة وجميلة وحدهما فقد انفصل والدهما عن والدتهما منذ صغرهما ولا يعرفان عنه شيئاً من حينها"

لمعت عينا مراد وهو يسأله في جدية:

-"وكيف كانت علاقة أشرف بأبناء إخوته، فيظهر من كلامك أنه لا يوجد أخ آخر يسكن في المنزل حالياً"

ازدرد شعبان ريقه وهو يجيبه في تلعثم:

-"الحقيقة لم تكن علاقته جيدة بأحد منهم على الإطلاق، فقد نشبت خلافات قديمة على الإرث بينه وبين إخوته بعد موت والدهم، ومنذ ذلك الحين وهو لا يهتم سوى بعمله وشئونه الخاصة ولا يكترث لأي منهم ولا لأحدٍ من أولادهم مطلقاً، أما أنا وزوجتي فكان سخياً معنا نظير خدمتنا له"

هزَّ مراد رأسه متفهماً محاولة شعبان في ابعاد الشبهة عنه هو وزوجته، ثم تابع أسئلته:

-"لنعُد إليك أنت، قلت أن السيدة نوال طلبت منك الذهاب لشراء بعض الأغراض، كم كانت الساعة وقتها؟"

-"كانت الخامسة تقريباً، وعدت نحو الساعة السابعة، فقد كانت قائمة الطلبات طويلة ومن أماكن متفرقة فالسيدة نوال تشترط دوماً الشراء من أماكن محددة ولا تقبل بغيرها ، وحين عودتي كانت سيارة السيد أشرف موجودة مما يعني أنه قد عاد قبل وصولي، وحين مغادرتي كانت زوجتي وفاء تنظف شقة السيد أشرف كالمعتاد وعندما عدت لم أجدها في المنزل، اتصلت بها فأخبرتني بأن السيد أشرف أرسلها إلى السوق لتشتري له بعض الأغراض ولما عادت أخذت منها الأغراض وصعدت إلى شقة السيد أشرف لأوصلها له، فوجدت باب منزله مفتوحاً ظننت أنه تعمد تركه لأُدخل له الأغراض التي طلبها لكنني صعقت حينما رأيته غارقاً في دمائه"

-"كم كانت الساعة حينها؟"

-"أعتقد أنها كانت الثامنة إلا ربع تقريباً لست متأكداً"

-"وماذا فعلت حينما رأيت جثة القتيل؟"

-"ركضت صارخاً إلى شقة السيدة نوال لأستغيث بطارق ابنها حتى يتصرف في تلك المصيبة، وهو من أبلغ الشرطة"

-"وهل بقيت في شقة القتيل حتى وصلت الشرطة؟"

-"لا سيدي لقد عدت إلى غرفتي ولم أغادرها حتى وصلت الشرطة، فأنا أدرك جيداً حجم المصيبة ولا أريد أن أورط نفسي في أي شيء، فالسيد طارق هو من تولى زمام الأمور وأنا ليس لي دخل في أي شيء، والأغراض التي طلبها المرحوم أشرف في شقته وهذه هي فواتير الشراء التي تثبت الوقت والتاريخ"

ثم مد يده بالفواتير إلى مراد الذي قرأها باهتمام، والتي لم تكن سوى بعض المشروبات الغازية والفواكه وأصناف محددة من الحلويات، سأله في تعجب:

-"هل كان السيد أشرف في انتظار ضيوفٍ اليوم؟"

تردد شعبان قليلاً في الإجابة قبل أن يقول:

-"لقد اعتاد السيد أشرف على استقبال عملائه في منزله الذي هو أيضاً مكتبه، قد يكون لديه موعد هذه الليلة لا علم لدي بشيءٍ كهذا فمن أنا حتى يُطلعني على خصوصيات عمله وحياته"

بدت إجابته منطقية إلى حدٍ كبير، نظر إليه مراد في صرامةٍ قائلاً:

-"أريد التحدث مع زوجتك وفاء"

ناداها شعبان فأتت مهرولةً وهي تنتفض من الخوف، سألها مراد في صرامة:

-"لماذا نظفتِ شقة السيد أشرف اليوم تحديداً"

أجابته بصوتٍ مرتجف:

-"أنا أنظف شقته يوماً بعد يوم، وأعد له طعاما يكفيه ليومين أفعل ذلك منذ سنوات"

-" هل كانت الخزنة التي في غرفة مكتبه مفتوحة؟"

-"لا علم لدي سيدي فهي بداخل دولاب وأنا أتجنب الاقتراب منها كلياً أنظفه من الخارج فقط"

-"متى وصل السيد أشرف إلى المنزل تحديداً؟"

-"تقريباً في السادسة إلا ربع، كنت أنا قد أنهيت عملي ونزلت من شقته في الخامسة والثلث تقريباً، وبعد وصوله بنحو نصف الساعة، أرسل لي قائمة الطلبات على "الواتساب" كما اعتاد أن يفعل، فسارعت إلى السوق لإحضارها في قرابة الساعة السادسة والنصف"

أنهت عبارتها وسارعت بإعطائه هاتفها ليتحقق بنفسه من تلك الرسالة التي تحمل قائمة الطلبات ووقتها 6:18 مساءً، والتي تتماشى مع الوقت المدون في فاتورة المشتريات التي أعطاها له زوجها شعبان.

عقب مراد في خفوت:

-"هذا يعني أن من الساعة السادسة والنصف تقريباً وحتى السابعة لم تكونا موجودَين في المنزل كلاكما ولا تعلمان إذا كان قد دخل إليه أحد أم لا؟!"

أومأ كلاهما برأسه إيجاباً، زم شفتيه قبل أن يسأل سؤاله التالي:

-"هل دخل أحد غريب إلى المنزل طوال هذا اليوم؟"

أجابه شعبان في ثقة:

-"كلا سيدي، منذ الصباح الباكر وحتى غادرت أنا المنزل في الخامسة لم يدخل أي شخص إلى المنزل سوى سكانه"

-"هل توجد كاميرات مراقبة بالمنزل؟"

-"لا توجد أية كاميرات مراقبة بالمنزل ولا في المنازل المجاورة"

وجه سؤاله التالي إلى وفاء قائلاً:

-"هل لاحظت أي شيء غير اعتيادي على السيد أشرف حين عودته؟"

-"لا سيدي عدا كونه مستعجلاً فقد صعد إلى شقته راكضاً"

ألقى مراد بسؤاله الأخير:

-"هل يحتفظ أحد غيرك من سكان المنزل بنسخة من مفتاح شقة القتيل؟"

سارعت بالإجابة في توتر:

-"ليس معي نسخة من مفتاح شقته سيدي، فقد اعتاد أن يتركه في صندوقٍ خاص موجود بجوار غرفتنا أثناء مغادرته صباحاً، وعندما أنتهي من التنظيف قبل عودته أتركه له في الصندوق ذاته ليأخذه قبل صعوده إلى شقته"

غادر المحقق مراد غرفتهما وهو مستغرق في تفكير عميق يتبعه آدم الذي غمغم قائلاً:

-"حتى وإن كان في انتظار ضيف ما فهو لم يأتِ بعد، لا شك أن القاتل من داخل المنزل"

أجابه مراد برصانته المعهودة:

-" الدلائل المبدئية تشير إلى ذلك يا آدم، لكن الوقت لا يزال مبكراً للغاية لنصدر أحكاماً على الجريمة"

-"وجهتك التالية هي طارق بالطبع"

ابتسم مراد وهو يجيبه:

-"بالتأكيد يا صديقي"

صعدا إلى الطابق الثاني وطرقا باب المنزل، فتح شاب في أواخر العشرينات متوسط الطول، هادئ الملامح يرتدي نظارة طبية أشار إليهم ليدخلا بيد مرتعشة، تجمدت أقدام مراد حينما وقعت عيناه على سيدة عرف أنها نوال والدة طارق، كانت ضعيفة الجسد حبيسة كرسي متحرك، لم تكن تلك هي الصورة التي رسمها لها في خياله من حديث شعبان، حدقت فيهما بعينين تشتعلان غيظاً وغضباً وملامح ممتعضة حانقة لم يفهما سببها، فعلى عكس الجميع لا يظهر عليها أي خوف أو ارتباك بل تبدو في حالة ترقب تسبق الهجوم، حياها مراد بإماءةٍ خفيفة من رأسه تجاهلتها تماماً لتضاعف حدة تصرفاتها من دهشته والتي لا تتناسب مع حدثٍ جلل

كهذا، لم يتوقف طارق عن تبادل نظرات الارتباك معها، جلس مراد وبجانبه آدم على الأريكة أمامها قبل أن ينضم إليهما طارق، بدأ مراد فوراً بطرح أسئلته:

-"متى كانت آخر مرة رأيتَ فيها المجني عليه"

التقى حاجبا طارق محاولاً التذكر قبل أن يجيبه في تلعثم:

-"أعتقد بأنني قابلته مصادفة على السلم منذ يومين حين عودتي من العمل نحو الساعة الثامنة مساءً، كان ينزل مهرولاً يبدو أنه كان على عجلةٍ من أمره"

-"كيف عرفت بالحادث؟"

-"شعبان طرق الباب وأخبرني بما حدث فألقيت نظرة عليه لأتحقق مما قاله ثم أبلغت الشرطة على الفور دون أن ألمسه"

-"ولماذا أبلغت الشرطة ولم تتصل بالإسعاف؟ كيف تأكدت أنه مات؟ ربما كان لا يزال حياً حين رأيته واتصالك بالإسعاف كان سينقذ حياته"

امتقع وجه طارق وهو يبحث عن الكلمات لا يجدها، ثم قال بصوتٍ متهدج من فرط التوتر:

-"لقد اتصلت بطبيب العائلة دكتور حازم شوقي وطلبت منه الحضور على الفور وشرحت له الوضع، لكنه رفض الحضور وهو من أخبرني بضرورة إبلاغ الشرطة في الحال"

-"لا عجب فيما حدث فتلك هي نهايته المتوقعة بلا أدنى شك وقد انتظرتها طويلاً!"

انطلقت تلك العبارة التي قالتها نوال كقذيفة مدوية على مسامعهم لتهرب الدماء من وجه طارق غير مصدقاً لما قالته أمه وما سيكون عواقب عبارةٍ كهذه، وتسلقت أمارات الذهول وجه آدم، بينما ضيق مراد حدقتيه ولاحت شبح ابتسامة طفيفة على شفتيه، وقد أدرك أنه على أعتاب سماع الحكاية الأصلية والتي قد ترسم الملامح الرئيسية لتلك الجريمة التي لا تزال تحمل في جعبتها الكثير!

الجزء الثاني

أطرق المحقق مراد سمعه لينصت في اهتمام إلى ما ستقوله السيدة نوال والتي شرعت بدورها في الحديث قائلةً:

-" أشرف منذ عرفته وهو شخص أناني لا يعبأ سوى بمصلحته وحده، يعشق المال بجنون ولا يعرف ما يسمى بالضمير، فهو لا يتوانى عن قبول القضايا المشبوهة ولا يتردد في الدفاع عن المجرمين واستخدام كل الحيل الممكنة لتبرأتهم طالما سيزيد ذلك من رصيده في البنوك، استولى على إرث إخوته بتوكيل مزور نسبه لوالده بتاريخ قديم نقل بموجبه ملكية جميع أمواله وأملاكه إلى نفسه، لم يتبقى لهم سوى الشقق الثلاث التي يعيشون فيها، لم يكترث بتوسلاتهم ولا لظروفهم التي عصفت بهم وجعلتهم في أشد الحاجة إلى تلك الأموال، زوجي أمجد أصيب بالمرض وكان في حاجةٍ ماسة لعلاج غالي الثمن فعلنا كل ما بوسعنا لتوفير ثمنه حتى لم يتبق لدينا سوى بيع الشقة لكنه اختار الموت على بيعها ليتركها لي أنا وطارق حتى نجد مكاناً نعيش فيه، وبعد موته بنحو سنتين تعرضت لحادث أصابني بالعجز، كنت في حاجة لإجراء جراحة دقيقة كان من شأنها إنقاذي، توسل إليه طارق ليقرضنا ثمن العملية لكنه رفض، ومنذ ذلك الحين وأنا لا أكف عن الدعاء عليه وأتمنى موته في كل لحظة.

أما أخوه أكرم فلم يتحمل البقاء في هذا المنزل بعد شجارٍ حاد دار بينهما حول حقه في الميراث فقرر العيش بعيداً، حتى أخته سميه التي كانت تربي طفلتين بمفردها بعد انفصالها عن زوجها، لم تحرك فيه ساكناً، فلم يرق قلبه لحالها أو لحال بناتها، هو ليس إنسان، بل شيطانٌ بغيض بلا قلب يثأر مِن كل مَن حوله بعد أن تركته زوجته التي كان يحبها للغاية، لا أحد يعرف السبب الحقيقي لانفصالها عنه لتترك في نفسه كل ذلك الغل والحقد على من حوله"

عشرات الاحتمالات والصور ظلت تتقلب في عقل كلٍ من آدم ومراد على إثر ذلك الحديث المؤسف الذي سمعاه من نوال والذي يوسع دائرة المشتبه بهم إلى الحد الأقصى، فكل من حوله يكرهونه وموته له منافع كثيرة ستعود عليهم، أولها استرداد إرثهم المنهوب، وثانيها الانتقام مما فعله بهم وبأهلهم، لكنه أيضاً يفتح احتمالاً كبير لكون الجاني هو أحد عملائه من المجرمين -بحسب قول نوال- قد يكون على خلاف

مع أحدهم، أو ربما يكون أحد الأبرياء الذين تسبب في ظلمهم لحساب عملائه، زفر مراد في ضيق ليوقف سيل الاحتمالات المتدفق في ثنايا عقله ويستعيد تركيزه ليتابع تحقيقه، فوجه سؤاله التالي إلى طارق:

-"أين كنت من الساعة السادسة إلا ربع وحتى طرق شعبان باب شقتك؟"

-"عدت من عملي باكراً اليوم نتيجة صداع شديد أصابني، وصلت منزلي في تمام الخامسة ونمت بعد وصولي مباشرةً وحتى السابعة والربع، ثم استغرقت في العمل على الحاسوب الخاص بي إلى أن فوجئت بطرق شعبان على الباب قرابة الثامنة"

-" لم تنتبه إلى وجود أي صوت غير مألوف قادم من شقة القتيل؟"

-"لا! فقد كنت في غرفتي منغمس في العمل وصوت التكييف يحجب عن مسامعي أية أصواتٍ أخرى"

رنا مراد ببصره نحو نوال وهو يسألها قائلاً:

-"ولا أنت سيدة نوال؟ ألم تسمعي أي شيء يثير الانتباه؟"

حدقت فيه لثواني وقد لاحظ لمعة مريبة في عينيها قبل أن تجيبه:

-"كان صوت التلفاز عالياً ولم أسمع أي شيء"

لم يشعر بالارتياح لجوابها، لكنه عاد إلى سؤال طارق ثانيةً:

-"وماذا فعلت بعد اتصالك بالشرطة وحتى وصولها إلى المنزل؟ هل بقيت في شقة المجني عليه؟"

-" لا لم أدخلها ثانيةً بعد اتصالي بالشرطة، نزلت إلى الأسفل وأبلغت الجميع بما حدث، ثم نبهتهم بضرورة بقائهم في منازلهم حتى وصول الشرطة، ثم عدت إلى شقتي وبقيت بداخلها حتى وصلت"

-"كم كانت الساعة حينما وصلت الشرطة إلى هنا"

-" التاسعة والربع تقريباً"

-"لم يصعد أي أحد من سكان المنزل إلى شقة القتيل خلال تلك المدة حتى وصلت الشرطة؟"

عدل طارق نظارته ليقربها من عينه في ارتباك وهو يجيبه:

-"لا لم يصعد أحد بقينا جميعاً في منازلنا حتى وصلت"

اتصالاً على هاتف مراد أجبره بإنهاء الحديث معهما مؤقتاً، أجابه ثم غادر الشقة مسرعاً فقد أبلغه أحد الرجال بأن جثة المجني عليه قد تم نقلها إلى عربة الإسعاف وفي طريقها إلى المشرحة وأصبح مسرح الجريمة تحت تصرفه، انصرف الجميع من شقة القتيل ولم يتبق سوى بضعة رجال لحراستها وتقديم المساعدة له إذا طلبها، بالإضافة إلى عدد من رجال الشرطة باقين عند مدخل المنزل بالأسفل لمنع أي أحد من الدخول إليه أو الخروج منه حتى انتهاء التحقيقات.

كانت عقارب الساعة تشير إلى الحادية عشر والنصف مساءً، دخل مراد شقة أشرف وبصحبته آدم، وقد قرر إلقاء نظرة على الغرف الأخرى، ثلاث غرف أحدها غرفة المكتب وهي الأكبر في المساحة، لا عجب في ذلك فهي مُعدَّة خصيصاً لاستقبال العملاء، أثاث المنزل فخم وثمين للغاية، تظهر عليه النظافة جلياً، مما يؤكد أن وفاء تقوم بعملها على أكمل وجه، لا شيء ملفت للنظر في العموم، دخل إلى المطبخ فوجد الطعام الذي أعدته وفاء كما قالت، لا يبدو أنه قد أكل منه شيئاً، لاحظ آدم وجود منديل مُكرمَش يحمل اسم محل بيتزا شهير في سلة القمامة التي كانت فارغة ليس بها سوى ذلك المنديل، أشار إليه آدم قائلاً:

-"يبدو أنه قد تناول طعاماً جاهزاً اليوم"

ثم قضب جبينه قائلاً:

-"ولكن أين كرتونة البيتزا أليس من الغريب وجود المنديل فقط؟"

أثار تساؤله اهتمام مراد فتحرك نحو الثلاجة باحثاً عنها وهو يقول:

-"ربما لم يأكلها كلها"

لكنه لم يجدها بداخل الثلاجة أيضاً، مطَّ شفتيه في تعجب وهو يجيبه:

-"ربما تناولها خارج المنزل وبقي ذلك المنديل في حوزته"

غادرا المطبخ ودخلا إلى غرفة المكتب، غمغم مراد قائلاً:

-"سنقوم بمراجعة ملفات تلك القضايا لعلها ترشدنا إلى شيءٍ ذو فائدة"

تقدم آدم في حماس نحو الأرفف وأنزل جميع ملفات القضايا، التي كانت مرقمة بأرقام متسلسلة مكتوبة عليها من الخارج بخط كبير، لاحظا وجود ورقتين في مقدمة كل ملف إحداها مكتوب فيها وصف مقتضب للقضية والثانية ملاحظات شخصية مكتوبة بخط اليد، يصف فيها أشرف انطباعه عن صاحب القضية أو مبالغ مالية لازالت مستحقة عليه، قال مراد في حزم:

-"جيد للغاية سيوفر علينا ذلك الكثير من الوقت، سنقوم بتصنيفها بحسب انطباعه عن أصحابها، فمن يظهر في وصفه الحنق على صاحبها سنضعها جانباً"

انهمكا في القراءة وتصنيف القضايا، ثم لاحظ آدم غياب ملف القضية التي تحمل رقم 31، سارع بإخبار مراد الذي تحقق من ذلك بنفسه، فطلب من آدم متابعة ما يفعله بينما سيقوم هو بالبحث عنها، لم يترك رفاً أو درجاً واحد بالغرفة لم يبحث فيه لكن دون جدوى لا أثر لذلك الملف مطلقاً، عصفت الحيرة بعقله فيظهر من مكتب أشرف أنه شخص منظم للغاية، جميع الملفات الأخرى مصفوفة بتسلسل أرقامها بدقة شديدة لا مجال للخطأ، ولا مبرر منطقي لاختفاء ذلك الملف هل يُعقل أن يكون القاتل هو من أخذه؟!، صاح آدم مدهوشاً لينتزعه من شروده:

-" انظر إلى هذا الملف سيد مراد"

أخذ منه مراد الملف الذي يحمل رقم 73 ليرتفع حاجبيه في تعجب مع تلك الملاحظة الغريبة التي كتبها أشرف:

-" جارتنا المجرمة هدى، فتاة مدللة غبية حمقاء لا تختلف كثيراً عن زوجها الأخرق علاء، لو لم يكن كذلك لما دفع كل تلك الأموال من أجلها دون أن يعلم أنها تعمدت قتله"

سارع مراد بتصفح أوراق القضية ليجدها قضية قتل خطأ تسبب بها حادث سيارة تقودها هدى، وحكم مبدئي بالسجن تبعه تصالح مع أهل المتوفي ودفع مبلغ كبير للتصالح، لا شك في أن زوجها علاء هو من دفعه.

تبادل مع آدم نظرة ذات مغزى قبل أن يقول ذلك الأخير:

-"وجهتك التالية بالتأكيد"

أومأ مراد برأسه إيجاباً وهو يجيبه:

-"دافع جديد، رجل بلا ضمير كأشرف يعرف سراً كبيراً تخفيه هدى عن زوجها، قد يفتح ذلك باباً كبيراً للاستغلال والابتزاز"

عقب آدم:

-"وربما عرف زوجها بذلك السر فقتله ليخرسه"

-"ربما! هذا يتوقف على طبيعة ذلك السر! كل الاحتمالات واردة الحدوث، وجميع سكان هذا المنزل بداخل دائرة الاشتباه، خاصةً مع ذلك المفتاح الذي كان يضعه أشرف في الصندوق بجوار غرفة البواب صباحاً، يسهل على أي منهم أخذه واستخراج نسخة عليه، من ثمَّ التربص به لتنفيذ الجريمة"

سأله آدم في حيرة:

-"هل تستبعد تورط البواب وزوجته؟"

حك مراد ذقنه مجيباً:

-"هما الاحتمال الأضعف حتى الآن، فيظهر جلياً أنهما المستفيدان الوحيدان من وجود أشرف، فقد كان سخياً معهما كما قال شعبان، ولا دافع لديهما لقتله"

أخذ نفساً عميقاً قبل أن يستطرد قائلاً:

-"النقط الناقصة حتى الآن:

-اختفاء هاتف القتيل.

- اختفاء ملف القضية رقم 31

-السر الذي تخفيه هدى عن زوجها

-محتويات الخزنة والتي ربما تتضمن ملف القضية 31 وربما لا.

ومعلومات الطب الشرعي:

-موعد الوفاة وسببها وكذلك نتيجة رفع البصمات"

صمت قليلاً قبل أن يتابع:

-"والسيدة نوال أشعر أنها تخفي شيئاً قرأت ذلك في عينيها، وكذلك طارق ابنها كانت أمامه فرصة ذهبية لأخذ ما يشاء من شقة عمه قبل وصول الشرطة، من المحتمل أن تكون له صلة باختفاء الهاتف أو ربما محتويات الخزنة"

لا تزال هناك الكثير من الخيوط ستكشف عنها الساعات القادمة!

الجزء الثالث

عاد مراد وبصحبته آدم إلى منزل عائلة مختار في الصباح لمتابعة التحقيقات بعد أن غادراه نحو الثانية صباحاً وقد انهمكا في قراءة الملفات والنقاش حول دوافع الجريمة ودائرة المشتبه بهم، وكما اتفقا كانت وجهتما التالية هي شقة أكرم والتي يسكنها حالياً علاء وزوجته هدى، فتح علاء الباب تظهر على وجهه أمارات النعاس، ألقى نظرة نحو ساعته التي تشير إلى التاسعة والنصف صباحاً ثم قال في توتر:

-"تفضل سيادة المحقق"

وهو يشير إلى غرفة استقبال الضيوف، لم يضيع مراد المزيد من الوقت وسأله في حزم:

-"منذ متى وأنت تسكن في هذه الشقة؟"

-"منذ عامين تقريباً"

-"هل يأتي السيد أكرم بنفسه إلى هنا لتحصيل الإيجار؟"

-" لقد التقينا مرتين فقط، المرة الأولى قبل أن نسكن لتحرير عقد سنوي وأَخَذَ الإيجار عن السنة الأولى كاملاً كمقدم، وكذلك فعلنا في السنة الثانية لكن ذلك كان يتم في مقهى مجاور لم يأتِ إلى هنا سوى منذ بضعة أيامٍ فقط، حتى أنني تعجبت من مجيئه"

تبادل مراد مع آدم نظرات تحمل مزيجاً من الدهشة والارتياب قبل أن يسأله ذلك الأخير:

-"وماذا كان سبب قدومه؟"

-" كان يبلغني بزيادة كبيرة في الإيجار في العقد الجديد، فالعقد الحالي سينتهي بعد شهرين ويريد أن يمنحني مهلة لترك الشقة إذا كانت قيمة الإيجار الجديد لا تناسبني، كان يمكن أن يبلغني بذلك في الهاتف لا أفهم لماذا حضر بنفسه"

ضيق مراد حدقتيه وهو يسأله:

-"هل زار أحد آخر في المنزل عند حضوره"

-"نعم ذهب لزيارة سارة وجميلة ثم انضم إليهم طارق، فهم يحبونه كما يحبهم كثيراً"

أخرج مراد من جيبه مدوَّنة وقلم وكتب شيئاً لم يره علاء ثم تابع التحقيق قائلاً:

-" كيف كانت علاقتكم بالمرحوم أشرف"

تلعثم علاء وهو يجيبه في عصبية:

-"لم تكن بيننا أي صلة من أي نوع، فهو دائم الاستغراق في عمله ولا يتعامل مع أحد من سكان هذا المنزل مطلقاً رغم كونهم جميعاً من أقاربه"

ابتسم مراد في مكر وهو يستطرد حديثه في قسوة:

-" لكن المعلومات التي لدي تؤكد وجود صلة بينكم، فزوجتك كانت عميلة عنده في قضية قتل خطأ"

سمعا صوت أكوابٍ تتكسر وقد سقطت الصينية من يد هدى وهي في طريقها إليهم كانت تحمل أكواب من الشاي، التفتوا إليها جميعاً، لتقع أنظارهم على شابة في منتصف العشرينات يظهر على ملامحها خوفها الشديد الذي لا يمكنها السيطرة عليه أو إخفاؤه، انتفض علاء من مقعده وهرع إليها ليتحقق من كونها لم تصب بجروح نتيجة تحطم الأكواب الزجاجية، نظرت إليه وشرعت بالبكاء، فحاول طمأنتها ثم أجلسها على الكرسي المجاور له بداخل الغرفة، التفت موجهاً حديثه إلى مراد في انفعال:

-" أرجو أن تلتمس لها العذر فوجود قتيل في المنزل ذاته ليس بالأمر الهين خاصةً وأن القاتل لا يزال حر طليق، أما بخصوص تلك القضية فنعم أنت محق لكن مضى على انتهائها أكثر من ستة أشهر ولم نتعامل مع السيد أشرف منذ ذلك الحين، لجأنا له وقت المشكلة وانتهى الأمر لذلك أخبرتك بأننا لا صلة تجمعنا به"

لم يحرك مراد بصره من على هدى محاولاً دراسة انفعالاتها وهو يطرح سؤاله التالي:

-"وأين كنتما بالأمس من الساعة السادسة إلا ربع وحتى الثامنة"

-"عدنا من عملنا سويةً في الساعة السابعة إلا ربع، ثم تناولنا طعام كنا قد أحضرناه معنا أثناء عودتنا"

قاطعه آدم قائلاً:

-"هل كان بيتزا؟"

تعجب علاء لسؤاله لكنه أجابه بهدوء:

-"لا بل كانت وجبات من الأرز والدجاج المشوي"

استكمل مراد أسئلته:

-"وكيف عرفتم بما حدث للقتيل؟"

-"فوجئنا بطارق يرن جرس شقتنا على نحوٍ مزعج، وحينما فتحت له الباب أخبرني وقال لي ألا أغادر شقتي حتى وصول الشرطة، ففعلنا تماماً مثلما قال"

أخذ مراد نفساً عميقاً ثم قال مخاطباً علاء في جدية:

-"سيد علاء أحتاج إلى التحقيق مع السيدة هدى بمفردها"

انزعج علاء من طلبه للغاية خاصة مع وصلة البكاء التي بدأتها هدى ونظرات الاستجداء التي أمطرته بها ولم يتحملها قلبه، وقبل أن يعترض على طلبه قال له آدم في حدة:

-" تذكر يا سيد علاء أننا هنا للتحقيق في جريمة قتل، بإمكاننا استدعائها رسمياً في مكتب التحقيقات"

زفر علاء في توتر وهو يومئ برأسه متفهماً، ثم همس في أذنها قائلاً:

-"لا تخافي سيكون كل شيء على ما يرام فقط أجيبِ أسئلتهم بهدوء وسينتهي الأمر خلال دقائق معدودة"

ربت على يدها ثم قام منزعجاً ودخل إلى غرفته، طلب مراد من هدى الخروج إلى الشرفة ليضمن ألا يسمعهما علاء، ثم سألها في صرامة وبصوتٍ خفيض:

-" أخبريني بالتفصيل عن ذلك السر الذي كان يعرفه أشرف ولم تخبري به علاء"

اتسعت عيناها في ذهول وانسحبت الدماء من وجهها ليكسوه لون أصفر، حتى ظن مراد أنها ستسقط مغشياً عليها في أية لحظة، ثم جعلت تتلفت حولها في هلع للتأكد من عدم وجود علاء، قال مراد في خفوت محاولاً طمأنتها:

-"لا تخافي لن يسمعك هنا وأنا لن أخبره شيئاً لو أردت فعل ذلك لسألتك أمامه، لكن بشرط ألا تخفي عني شيئاً"

ازدردت ريقها وأجابته بصوتٍ يكاد يغادر شفتيها:

-"أثناء جمع السيد أشرف للمعلومات الخاصة بقضية القتل الخطأ الذي تسببت فيه، عرف أن الشخص الذي مات كان يعمل معي منذ فترة قبل ان ينتقل إلى شركة أخرى، فأدرك أن ما حدث لم يكن مصادفة، وعندما واجهني بما عرفه وهددني بأنه قد توجه إليَّ تهمة القتل العمد إذا لم أخبره بالحقيقة حتى يستطيع التصرف بسرعة، اضطررت لإخباره بأنني كنت أكن مشاعر لذلك الشخص قبل ارتباطي بعلاء، لكنه تجاهلني فشعرت بالإهانة، ثم عرفت مؤخراً أنه ارتبط بزميلة لنا في العمل فاشتعل الغيظ بداخلي ليس لأنني لازلت أشعر نحوه بشيء ولكنه ذلك الشعور البغيض بالاستحقار والإذلال الذي انتابني لكونه فضلها علي، تبعتهما ذات يوم بعد مغادرتهما العمل, ورأيت تلك الورود والهدايا التي أعطاها لها، فتملكني السخط وبعد أن افترقا لم أشعر بقدمي سوى وهي تضغط دواسة البنزين، ثم انتبهت لما أفعله فحاولت تدارك الأمر وانعطفت لأتفادى الاصطدام به، لكن فزعه من اقتراب سيارة مسرعة نحوه جعله يركض في الاتجاه ذاته الذي انعطفت إليه فحدث ما حدث"

تهدج صوتها من فرط الانفعال، فصمت مراد قليلاً ليعطيها الفرصة لتتمالك أعصابها، ثم تابعت:

-" وفَّى السيد أشرف بوعده وتكتم على السر الذي أخبرته به، بل وخلصني من تلك المصيبة أيضاً بالتصالح مع أهل المتوفى"

عقب مراد على حديثها وهو يرمقها بنظراتٍ حادة:

-"لكن بالطبع لم يكن ذلك دون مقابل!"

امتقع وجهها وتساقطت الدموع على خديها وهي تجيبه:

-"نعم طلب مني مبلغ ضخم من المال مقابل ألا يخبر علاء، لم أستطع دفعه مرةً واحدة فطلبت منه أن يقسطه على عدة أشهر، وكنت أعطيه جزء من المبلغ كل شهر"

-"ومتى كان موعد القسط التالي؟"

-"كان من المفترض أن يكون بالأمس، كنت في انتظار أن ينام علاء حتى أصعد إليه وأعطيه المال"

حدق فيها مراد دون أن ينطق بحرف فانفجرت باكية:

-"أقسم لك أن لا علاقة لي بمقتله، أنا أحب زوجي أعرف أنني أخطأت فيما فعلته لكنها كانت لحظة ضعف أمام وسوسة الشيطان ولم أتعمد قتله ولذلك اعتبرت تلك الأموال التي أدفعها لأشرف هي عقاباً لي على ما فعلته"

اكتفى مراد بما عرفه وانصرف مغادراً بعد أن شكر علاء على تعاونه، تبعه آدم فصعدا إلى شقة أشرف ليعيد مراد ترتيب أوراقه، قال له آدم:

-" هل تعتقد أن علاء قد عرف بذلك السر الذي يعرفه أشرف وباستغلاله لزوجته؟"

زفر مراد في ضيق:

-"هذا ما علينا التحقق منه يا آدم، فلو كان على علمٍ بذلك فسأعتبره متهماً رسمياً في تلك القضية حتى وإن لم يرتكبها بنفسه فدافعه قوي، وحبه لزوجته الواضح ربما يدفعه لارتكاب حماقةٍ كهذه، ولا أستبعد كونها هي من دبرت لقتله لتتخلص من تهديده لها والأموال التي يجبرها على دفعها، سننتظر تقرير البصمات فربما يحمل لنا مفاجأة تحسم الأمر"

-"بقي لدينا سارة وجميلة هل ستذهب إليهما الآن؟"

وقبل أن يجيبه سمعا جلبة بالأسفل، نزل مراد راكضاً ليجد فتاة تبكي في حرقة وهي تتوسل إلى رجل الشرطة ليسمح لشخصٍ بالدخول إلى المنزل، اقترب منهما فعرف أنها سارة، ما أن رأته حتى ترجته قائلةً:

-"أرجوك أن تسمح للطبيب بالدخول فجميلة أختي مريضة للغاية منذ الأمس"

تقدم الطبيب منه وهو يقول في ثقة:

-" دكتور حازم شوقي طبيب العائلة"

ارتفع حاجبي مراد وقد تذكر ذلك الاسم الذي أخبره به طارق بالأمس، ثم تحدث مع رجل الشرطة وأخبره بأنه سيرافق الطبيب بنفسه للكشف على الفتاة ومن ثم سيرافقه إلى الخارج ثانيةً، فسمح له الشرطي بالدخول، أسرعت سارة إلى الشقة في الطابق الأرضي على اليسار، ودخلت يتبعها الطبيب ومن بعده المحقق مراد ومعه آدم، وجدا فتاة في أوائل العشرينات ترتعد على نحوٍ لافت ويتشنج جسدها وهي تجاهد لتلتقط أنفاسها، أسرع إليها الطبيب وبعد الكشف عليها قال مخاطباً سارة:

-"إنها تعاني من نوبات هلع"

سارعت سارة بالقول:

-"هي على تلك الحالة منذ رأت جثة عمي أشرف بالأمس"

اتسعت دهشة الطبيب، بينما سألها مراد:

-"ومتى رأتها تحديداً؟"

-"بعد أن أخبرنا طارق بما حدث، لم تلتزم بأوامره بالبقاء في الداخل وصعدت إلى الأعلى لتراه بنفسها"

-"وهل علم طارق بالأمر؟"

-"نعم بالطبع فقد كان معها حتى نزلا سوية!"

أخرج مراد المدونة من جيبه وقام برسم دائرة حول اسم طارق رآها آدم وفهم ما تعنيه جيداً!

الجزء الرابع

بعد أن تناولت جميلة الدواء المهدئ الذي كتبه لها الطبيب، واستعادت سيطرتها على أعصابها، طلب مراد من الطبيب مغادرة المنزل ليتابع التحقيق مع الفتاتين، تعجب حينما طلب منه دكتور حازم أن يصعد ليطمئن على السيدة نوال قبل انصرافه، لكن مراد قابل طلبه بالرفض وأصر على مغادرته حتى أنه صحبه إلى الخارج بنفسه، وقبل أن ينصرف استوقفه مراد بسؤالٍ مباغت:

-"لماذا لم تأتِ حينما اتصل بك طارق ليخبرك بما حدث للسيد أشرف، بل وطلبت منه إبلاغ الشرطة وليس الإسعاف دون التحقق من وفاته أولاً؟"

حدَّق دكتور حازم في عينيه وهو يجيبه بنبرةٍ واثقة:

-" لم أكن أنا من أجبته سيادة المحقق لقد كان مساعدي، فأنا كنت في زيارة منزلية مستعجلة حينها ونسيت هاتفي بداخل العيادة، ولو كنت موجوداً لما ترددت لثانية في الحضور إلى هنا"

شكره مراد وتركه يغادر وهو يتابعه ببصره وعاصفة من الأفكار تعتصر عقله، ثم أخرج مدونته وأضاف إليها ملاحظة جديدة، قبل أن يعود إلى شقة سارة وجميلة، ليكون سؤاله الأول عن حازم:

-" منذ متى والطبيب حازم هو طبيب العائلة؟"

جاءه رد سارة:

-" من قبل موت جدي مختار فقد كان صديق خالي أمجد، ومنذ كنا أطفال وهو دائم التواجد في أزماتنا الصحية لم يتأخر عن أحدنا يوماً، يرشدنا إلى ما يتوجب علينا فعله حينما نلجأ إليه ويوجهنا إلى أطباء ذوي تخصصات أخرى إن لزم الأمر، كان يتابع حالة خالي أمجد رحمه الله حتى وفاته، ولما تعرضت السيدة نوال للحادث كان متواجداً طوال الوقت حتى استقرت حالتها، يتصل به طارق فوراً إذا شعرت بأي تعب"

-"أنتم محظوظون بوجوده إذن وهل كان على صلةٍ بالسيد أشرف؟"

-" هو يعرف الجميع هنا، لكن ليس لدي معلومة إن كان خالي أشرف قد تعرض لمشكلات صحية من قبل ولجأ إليه فكما بت تعرف نحن نجهل الكثير عن حياته"

أومأ برأسه متفهماً ثم قال في جدية:

-"لنعود إلى التحقيق فيما حدث بالأمس، أين كنتما من الساعة السادسة إلا ربع وحتى الثامنة؟"

أجابته سارة مسرعة:

-"أنا كنت خارج المنزل وعدت من عملي قبل نزول طارق إلينا بدقائق معدودة"

رنا ببصره نحو جميلة، التي أجابته بدورها:

-"أما أنا فكنت منشغلة في إعداد الطعام حتى نزل طارق وأخبرنا فلم أتمالك أعصابي وصعدت إلى الأعلى راكضةً لأرى ما حدث بنفسي وحينما حاولت الاقتراب من جثة خالي لأتحقق ممن موته جذبني طارق إلى الخارج وهو يصيح في وجهي لأعود إلى منزلي ولا أغادره حتى وصول الشرطة، ثم نزل معي حتى تأكد من دخولي الشقة وطلب من سارة إغلاق الباب بالمفتاح"

-"وكيف كانت علاقتكما بخالكما أشرف؟"

تبادلا نظرةً حزينة قبل أن تجيبه سارة -الأخت الكبرى- في انفعالٍ مغلف بالغضب:

-" ليست جيدة مطلقاً سيادة المحقق، فقد استولى على إرث أمنا وعانت بسببه الكثير في حياتها، وبعد موتها تجاهل وجودنا كلياً ولم يحاول السؤال عن أحوالنا ولو لمرةٍ واحدة، وقبل نحو اسبوعين استجمعت قوتي وصعدت إليه لأطالبه بحقنا في إرث أمنا لأتمكن من سداد قرض كنت قد أخذته من البنك لأدفع مصاريف جامعة جميلة، لكنني تعثرت في السداد ولم أجد حلاً سوى المطالبة بحقنا في الإرث، فثار في وجهي وصفعني وكاد يضربني لولا تدخل طارق في الوقت المناسب، أتى راكضاً من شقته على صوت صراخ خالي ليخلصني من بين يديه قبل أن يتطور الأمر أكثر، ولم أره ثانيةً منذ ذلك الحين"

نظر إلى جميلة، فبكت في حرقة قائلةً:

-"رغم كل ما فعله معنا فأنا لم أستطع أن أكرهه، بل كنت أشفق عليه من شر نفسه، حاولت التقرب منه مراراً لعلّي ألين قلبه قليلاً وأنتشله من سجن الوحدة الذي غرق فيه، فكنت أعد الطعام وأصعد إليه لنتناوله معاً لكنه في كل مرة كان يكتفي بابتسامة مقتضبة ثم يتحجج بالانشغال حتى أتركه وحده"

-"حمقاء!"

قالتها سارة في حنقٍ واضح وهي تطلق نظرة مشتعلة نحو أختها، تجاهلها مراد وهو يتابع حديثه مع جميلة:

-" ومتى كانت آخر مرة رأيته فيها؟"

انهمرت دموعها في تأثر وهمت بقول شيء لكنها تراجعت في اللحظة الأخيرة، بدت شاردةً بعض الشيء قبل أن تزدرد ريقها وهي تقول:

-" في اليوم السابق لموته صعدت إليه أحمل صحناً من الحلوى وما أن ضغطت زر جرس شقته حتى فتح الباب منفعلاً وهو يصيح في غضب لأكفَّ عن إزعاجه، ثم رنَّ هاتفه فأغلق الباب في وجهي وسمعته يتشاجر مع أحدٍ في الهاتف"

-"ماذا سمعتي تحديداً؟"
حاولت التذكر ثم أجابته في تردد:

-" لا أتذكر بوضوح لكن أعتقد أنني سمعته يقول:" سأعيد فتح القضية القديمة""

أسرع مراد بتدوين تلك الملاحظة الهامة، ثم سألهما في اهتمام:

-"وكيف هي علاقتكما بخالكما أكرم؟"
تبدلت ملامح سارة الغاضبة وهي تجيبه في امتنان:

-" نحبه كثيراً، فبالرغم من عدم عيشه معنا إلَّا أنه دائم الاتصال بنا والاطمئنان على أحوالنا، وكثيراً ما نذهب لزيارته، وكان هو السند الوحيد لوالدتنا حتى موتها"

-"ولماذا لم تلجئي إليه لحل مشكلة القرض؟"

-"بالطبع فعلت، لكن ظروفه المادية صعبة للغاية، وليس بإمكانه حل مشكلةٍ كهذه مطلقاً وأنا على يقين أن الأمر لو كان بيده لما تردد لحظه في مساعدتنا، وعندما

أخبرته بما فعله خالي أشرف ثارت ثائرته وأخبرني بألا أقلق فهو سيجد حلاً قبل موعد السداد"

تبادل مراد نظرة مع آدم فهمها الأخير جيداً، قبل أن يوجه سؤاله الأخير إلى جميلة:

-" متى كانت آخر مرة رأيتِ فيها خالك أكرم؟"

-" لقد زارنا هنا قبل أيام كانت زيارة مفاجئة لم يفعلها منذ سنوات لكنها أسعدتنا كثيراً"

أومأ برأسه إيجاباً وقد كان يريد التحقق من تلك المعلومة، ثم قرر بعدها المغادرة إلى شقة القتيل وبرفقته آدم، وقبل أن يدخلا إليها شاهدا السيدة نوال تخرج كيساً من القمامة لتضعه في الصندوق المخصص لها والمجاور لباب شقتها، حياها مراد بإيماءةٍ من رأسه وهو يقول:

-" كيف حالك سيدة نوال؟ لقد طلب الطبيب حازم الصعود للاطمئنان عليكِ لكنني رفضت، أعتذر لذلك فغير مسموح لأحد بالتواجد في هذا الطابق حالياً"

اتسعت عيناها على نحوٍ لافت وبدا الارتباك جلياً على وجهها وهي تجيبه:

-"لا عليك سيادة المحقق أنا بخير شكراً لك"

ثم سارعت بالدخول وإغلاق الباب، نظر آدم إلى مراد مغمغماً:

-"تلك المرأة غريبة الأطوار للغاية"، هزَّ مراد رأسه موافقاً ثم دخلا إلى شقة أشرف، بادر آدم بالحديث قائلاً:

-"أكرم أيضاً انضم إلى دائرة المشتبه بهم، فموت أشرف سيحل أزمة ظروفه السيئة من جهة، ومن جهةٍ أخرى سيحل مشكلة قرض سارة، ربما اتفق مع طارق وسارة لتنفيذ الجريمة، وذلك كان السبب الرئيسي في زيارته المفاجئة لهم"

فكر مراد قليلاً قبل أن يجيبه:

-" احتمال وارد يا آدم، إن كانت تلك هي الحقيقة فمما لا شك فيه أنهم أخفوا الأمر عن جميلة، تلك الفتاة ضعيفة للغاية ولن تتحمل الاشتراك في جريمةٍ كهذه يمكننا استبعادها"

صمت لبرهة قبل أن يستطرد:

-"وربما كان ذلك أيضاً هو السبب في كذب طارق بشأن صعودها إلى شقة القتيل لم يشأ توريطها في الأمر، فقد أنكر صعود أحد حتى وصول الشرطة، لكنه لم يكن الشيء الوحيد الذي كذب فيه فحديثه عن مكالمة الطبيب حازم الذي أخبره بإبلاغ الشرطة محير للغاية! لماذا لا يقول الحقيقة؟ ذلك الشاب لا يشعرني بالارتياح مطلقاً"

أمسك آدم بورقة وقلم ثم شرع يكتب:

-"المشتبه بهم حتى الآن وجميعهم من سكان هذا المنزل ما عدا الأخير لا يزال مجهولاً:

- طارق

-علاء

-أكرم

-هدى

-سارة

-صاحب القضية 31 والذي من المحتمل أن يكون أحدهم

"

ثم توقف وهو ينظر إلى مراد متسائلاً:

-"هل تظن أن تلك العبارة التي سمعتها جميلة على لسان أشرف تعود على القضية 31 أم قضية هدى؟"

حك مراد ذقنه وهو يجيبه:

-"لا يمكنني الجزم لكنني أرجح أنه كان يقصد القضية 31"

وقف آدم يقول بأداء مسرحي:

-"لنحاول محاكاة الجريمة:

أخذ القاتل المفتاح من الصندوق دون أن يراه أحد وقام باستخراج نسخة أخرى، بقيت معه ثم تحين فرصة خلو الشقة بعد نزول وفاء منها، واختبأ بداخلها حتى وصل المجني عليه فباغته القاتل بدفعة أسقطته على المكتب فانغرس ذلك العمود المعدني ذو الطرف الحاد في رقبته ليرديه قتيلاً"

عقب مراد قائلاً:

-" وربما أمسك القاتل بذلك العمود وغرسه في رقبة القتيل متعمداً، هذا يتوقف على الغرض الحقيقي للقاتل هل كان سرقة محتويات الخزنة؟ أم ملف القضية؟ أم قتل المجني عليه؟ وربما الثلاثة معاً، لكن إن كانت الجريمة قد تمت بدفع المجني عليه ليسقط فوق ذلك الطرف المعدني ليقتله على هذا النحو، فمما لا شك فيه أن القاتل رجل وليس امرأة، لكونه يمتلك ذلك القدر من القوة البدنية لدفع القتيل، أما إن كان القاتل قد فاجأ القتيل من الخلف وغرس في رقبته العمود فالأمر مختلف، في تلك الحالة يبقى احتمال كون القاتل امرأة وارداً"

رنَّ هاتف مراد في تلك اللحظة معلناً وصول رسالة تحمل تقرير البصمات، تهللت أساريره لرؤيتها ففتحها متلهفاً والتهم الكلمات الواردة فيها، ليرتفع حاجبه الأيمن في ظفرٍ قائلاً:

-"لم أتفاجأ كثيراً، أعتقد أننا قد عثرنا على القاتل!"

أعطى الهاتف لآدم ليقرأ التقرير والذي لم يرد فيه سوى العثور على بصمات شخصين في الشقة بخلاف القتيل، بصمات وفاء وهذا منطقي لكونها كانت تنظف الشقة قبل وصول المجني عليه بوقتٍ قصير، والبصمات الأخرى تعود ل"طارق أمجد مختار"!

الجزء الخامس

عاد مراد إلى مكتبه في مبنى البحث الجنائي، ليوجه تهمة القتل إلى " طارق أمجد مختار" رسمياً، كان ذلك السبب الظاهري فقد كان بمقدوره أمر رجال الشرطة الموجودين أمام المنزل بالقبض عليه مباشرةً، لكن السبب الحقيقي كان تحاشيه لرؤية السيدة نوال وهي تبكي عليه فقد أشفق عليها من ذلك الموقف الصعب كثيراً.

ثم أصدر أوامره بأن تظل شقة القتيل تحت تصرف البحث الجنائي حتى انتهاء التحقيقات مع عدم الحاجة لبقاء الشرطة، ويتبع ذلك انصرافهم من أمام مدخل المنزل أيضاً، والسماح بدخول وخروج سكانه كما يشاءون.

صعد رجال الشرطة إلى شقة طارق ليقبضوا عليه، انهارت السيدة نوال وظلت تصرخ بأن ابنها بريء وتطلب الحديث مع المحقق مراد، بينما جعل طارق يصيح في ذعر مكرراً كونه لم يفعل شيئاً، لكن رجال الشرطة وضعوا الأصفاد في يديه واقتادوه إلى السيارة غير مكترثين بالصراخ المتزايد من حولهم بعدما غادر جميع سكان المنزل شققهم ليشاهدوا ما يحدث!

ظلت السيدة نوال على كرسيها المتحرك أعلى السلم تتابع ببصرها رجال الشرطة المحيطين بطارق وهم في طريقهم نحو الأسفل، وهي تصرخ دون توقف مطالبةً بالحديث مع المحقق مراد لأمرٍ في غاية الأهمية دون جدوى!

وصل طارق بصحبة رجال الشرطة إلى مكتب السيد مراد الذي أمر بإحضاره إليه فور وصوله، ما أن دخل أحدهم يستأذنه في السماح لطارق بالدخول، حتى سأله مراد في اهتمام:

-"كيف حال والدة المتهم؟"

أجابه في أسف:

-"ليست على ما يرام لقد ظلت تصرخ منديةً باسمك وهي تلح في طلب التحدث معك لأمر هام بحسب قولها"

مط المحقق مراد شفتيه في استغراب، قبل أن يقول:

-"لا بأس سأذهب إليها لاحقاً، أما الآن فأدخل طارق لنعيد التحقيق معه"

هزَّ الشرطي رأسه موافقاً ثم قام بإدخال طارق الذي كان يرتعد على نحوٍ لافت وهو ينظر إلى مراد في توسل قائلاً:

-"أقسم لك أنني لم أقتله ولا علاقة لي بموته"

عقد مراد ساعديه أمام صدره وهو يقول في حزم:

-" اسمعني جيداً يا طارق، لغة القانون هي الأدلة وطالما وجد الدليل أصبح الحديث المرسل لا قيمة له، دعك من الإنكار لأنه بلا فائدة فقد تم العثور على بصماتك فوق مكتب المجني عليه، وبالمناسبة هي البصمات الوحيدة التي عُثر عليها بخلاف القتيل ووفاء التي أقرت بوجودها في الشقة لتنظيفها قبل وصوله، فأنصحك بإخباري بحقيقة ما حدث وأعدك بأنني سأحاول مساعدتك لتخفيف عقوبتك إن استطعت، هل كانت مجرد حادثة؟ دفعته فسقط على ذلك العمود دون أن تقصد؟ أم أن هناك تحريض أو تخطيط من أطرافٍ أخرى كعمك أكرم مثلاً؟"

التقط طارق أنفاسه محاولاً التماسك، ثم بلل شفتيه بلسانه وهو يجاهد ليجيبه:

-"سيادة المحقق أعترف بأنني قد كذبت!"

اتسعت ابتسامة مراد في ظفر وأنصت إليه وهو يتابع حديثه:

-"أخبرتك أن لا أحد صعد إلى شقة عمي أشرف بعد اتصالي بالشرطة، والحقيقة أن جميلة حينما أخبرتها بما حدث له، لم تتمالك أعصابها وانطلقت راكضةً إلى شقته لتراه بنفسها، وحينما حاولَت الاقتراب منه سحبتها بكل قوتي حتى لا تورط نفسها في الأمر فاختل توازني وربما وضعت يدي على سطح المكتب دون أن أشعر، أنا حقاً لا أتذكر فقد كنت متوتراً للغاية حينها، أقسم لك أن هذا كل شيء، أنا لم أقتله ولا صلة لي بموته"

صمت مراد لثواني قبل أن يسأله:

-" ولماذا كذبت بشأن إخبار الطبيب حازم أيضاً؟ لماذا لم تقل بأن مساعده هو من حدثك نظراً لتواجد الطبيب في زيارة منزلية وهو من أشار إليك بطلب الشرطة فوراً"

قضب طارق جبينه في تعجب وهو يصيح مدهوشاً:

-"ماذا؟ هذا لم يحدث! لقد تحدثت إلى الطبيب حازم وهو من رفض الحضور وأخبرني بضرورة إبلاغ الشرطة، لا يمكن أن أخطئ في صوته أبداً"

تلاقى حاجبي مراد وشرد مفكراً، لكنه انتفض في فزع حينما دخل آدم إلى مكتبه يحمل ملفاً وهو يصيح قائلاً:

-"عليك أن تقرأ هذا سيادة المحقق في الحال لن تصدق ما ستراه"

حدق فيه مراد في تعجب ثم نادى على الأمين ليأخذ المتهم طارق إلى محبسه أولاً، وبعد أن غادرا وتأكد من إغلاق الباب خلفهما، أمسك بالملف الذي يحمله آدم وشرع بقراءة ما ورد فيه، كان عبارة عن تقرير الوفاة والذي يحمل بين طياته مفاجأة مدوية:

- سبب الوفاة: تسمم حاد نتج عن تناول مادة (الزرنيخ)
- وقت الوفاة: الساعة 6:03 مساءً

ألقى مراد بجسده على كرسي مكتبه وهو يشعر بأنه قد شُلَّ تفكيره من الصدمة، جلس آدم صامتاً على الكرسي المقابل له، قبل أن يقطع الصمت بقوله:

-" هل يُعقل أن تكون وفاء قد وضعت له السم في الطعام؟"

هزَّ مراد رأسه نافياً وهو يجيبه:

-"أشرف لم يأكل في شقته، كما أن التسمم بالزرنيخ قد يستغرق ساعات قبل أن يؤدي إلى الوفاة، الأرجح أنه تناول الطعام المسمم قبل عودته إلى منزله"

زفر آدم في حيرة معقباً:

-" هذا يعني أنه حينما غُرس ذلك العمود المعدني في عنقه كان ميتاً بالفعل!"

أجابه مراد منفعلاً:

-"ربما يكون قد وقع عليه أثناء سقوطه بعد وفاته، لكن حتى إن كانت تلك هي الحقيقة، فذلك لا ينفي وجود شخصٍ آخر معه في ذلك الوقت، الشخص الذي أخذ ما في الخزنة وأخذ هاتف القتيل و....."

بتر عبارته فجأة ثم أخرج مدونته ليتأكد من شيء فاتسعت عيناه في ذهول قبل أن يصيح قائلاً:

-"الرسالة التي استقبلها هاتف وفاء بقائمة الطلبات من هاتفه كانت في الساعة 6:18 أي بعد وفاته بنحو ربع ساعة!"

غمغم آدم في حنق:

-"أصبح الوضع معقد للغاية، ما الغرض من تلك الرسالة إذن؟"

أجابه مراد في ثقة:

-"الغرض هو إخراج وفاء من المنزل!"

-"ولكن لماذا؟ فلا شك أن من كان بصحبة المجني عليه هو من سكان المنزل، يظهر ذلك من معرفته بأمر إرسال الطلبات إلى وفاء عبر الواتساب، وكذلك كونه دخل إلى شقة القتيل بعد نزولها منها، ومن ناحيةٍ أخرى هي تؤكد أن لا أحد دخل إلى المنزل حتى غادرته لتحضر الطلبات، وبناءً عليه فمن المنطقي أن يعود ذلك الشخص إلى شقته ثانيةً في هدوء وليس بحاجة لمغادرة وفاء المنزل من الأساس!"

أخذ مراد نفساً عميقاً قبل أن يقول:

-"تحليلك منطقي يا آدم، هناك شيء غامض لا أستطيع تفسيره! لكن دعنا نفكر في احتمالٍ آخر، ذلك الشخص بالرغم من كونه يسكن في المنزل لكنه أراد أن يتخلص من الأشياء التي أخذها من شقة القتيل قبل وصول الشرطة وعلى رأسها هاتفه"

-"هذا ينفي التهمة عن طارق إذن!"

-"ليس بالضرورة فلا تنس أن السيدة نوال هي من أرسلت شعبان لإحضار الكثير من الطلبات على حد قوله، ربما فعلت ذلك لتفسح المجال لطارق أن يدخل الشقة ويأخذ ما يريد ثم يغادر لإخفائه، ويرجع قبل عودة شعبان، وهذا يتطلب التخلص من وجود وفاء أيضاً، لكن هذا الافتراض يشترط علم طارق المسبق بتسمم عمه، مما يعني اتفاقه مع القاتل أو اكتشافه لذلك مصادفة"

قاطعه آدم بقوله:

-"ربما عندما شعر أشرف بأعراض التسمم استغاث به، فهو الأقرب إلى شقته".

أمسك مراد رأسه بكلتا يديه وهو يكاد يُجن، دخل الأمين يخبره بوصول أكرم، وكان مراد قد استدعاه للتحقيق، أشار إليه ليسمح له بالدخول، بخطواتٍ مرتجفة ونظراتٍ مترقبة دخل أكرم الغرفة، تقدم نحو مكتب مراد ثم جلس على الكرسي المقابل له كما طلب منه ذلك الأخير، بدأ مراد بطرح أسئلته:

-"أين كنت بالأمس من الساعة السادسة إلا ربع وحتى الثامنة؟"

أجابه متلعثماً من فرط التوتر:

-"كنت في عملي وغادرته في الثامنة والنصف، يمكنكم التحقق من ذلك بمنتهى السهولة، فالكاميرات الموجودة هناك قد سجلت وقت دخولي وخروجي"

-"هل غادرته لأي سبب خلال اليوم؟"

-"لا لم أغادره منذ وصلت إليه في العاشرة صباحاً؟"

-"لماذا ذهبت لزيارة السيد علاء في شقته هذه المرة تحديداً، بالرغم من أنك لم تفعل ذلك سابقاً منذ سكنه؟"

-"أردت إخباره بشأن زيادة الإيجار بشكل يحمل نوعاً من المودة، لذلك فضلت إخباره بنفسي عِوضاً عن إبلاغه في الهاتف"

-"هل زرت أحد آخر من سكان المنزل في اليوم ذاته؟"

-"نعم ذهبت لزيارة سارة وجميلة وانضم إلينا طارق جلست معهم نحو ثلاث ساعات ثم غادرت"

-"هل صعدت إلى شقة أشرف؟"

أجابه في حنقٍ ملحوظ:

-"لا لم أفعل، فأنا لا أتعامل معه مطلقاً منذ سنوات لأنه استولى على حقي في إرث والدي"

-"كيف عرفت بمقتله؟"

-"أخبرني طارق بما حدث"

حدق فيه مراد بتمعن قبل أن يلقي عليه سؤاله التالي:

-"أخبرت سارة بأنك ستتصرف بشأن القرض الذي تعثَّرَت في سداده بالرغم من ظروفك المادية الصعبة، كيف كنت تنوي فعل ذلك؟"

بدا الارتباك جلياً على وجهه، ومسح حبات العرق المتناثرة على جبينه قبل أن يجيبه:

-" قلت لها ذلك لأطمئنها قليلاً، لكنني لم يكن لدي أدنى فكرة عن وسيلة حقيقية لحل المشكلة، كل ما فكرت فيه حينها أنني سأطلب سُلفة من أحد أصدقائي لكنني لم أفعل ذلك حتى الآن"

أراد مراد استفزازه بعبارته التالية وهو يراقب عن كثب ردة فعله:

-"لكن موت أشرف سيحل جميع الأزمات، فاتفقت مع طارق على قتله"

قاطعه أكرم محتداً:

-"أقسم لك أن ذلك لم يحدث، لم أتفق معه على شيء ولا يمكن أن يكون لطارق صلة بما حدث"

-"لكن بصماته وجدت بجوار جثة القتيل"

امتقع وجه أكرم وتراخى جسده في مقعده، وجعل صدره يعلو ويهبط في سرعة وقد تلاحقت أنفاسه، ثم قال في خفوت بصوتٍ يكاد يغادر شفتيه:

-" لا يمكن ذلك! شيء ما غير صحيح"

ثم تذكر تلك العبارة التي قالها طارق حينما اتصل به ليبلغه بموت أشرف:

-"لقد انتهى كل شيء!"

اتسعت عيناه في ارتباك وتبدلت تعبيرات وجهه على نحوٍ لافت لكنه لم ينطق بحرفٍ واحد، لم تغِب تلك الملاحظة عن مراد وهو يتفرس ملامحه، ثم طلب أكرم الحديث مع طارق لكن مراد رفض ذلك، وسمح له بالانصراف بعد أن طلب منه إخباره بأي شيءٍ يتذكره مهما بدا غير مهم.

نظر آدم إلى مراد بعد مغادرة أكرم قائلاً:

-" لاحظت ما حدث بالطبع!"

أومأ مراد برأسه إيجاباً، وهو يعقب بقوله:

-"لديه شيء يخفيه! أبلغهم أوامري بتفريغ كاميرات المراقبة الخاصة بعمله ليوم الأمس من أوله وحتى انصرافه"

ساعاتٌ قضاها مراد في النقاش مع آدم، ومحاولة إعادة ترتيب الأحداث وفك الخيوط المتشابكة بعد تلك التطورات المفاجئة التي غيرت حساباته جذرياً!

ثم قام واقفاً وقد اتخذ قراره بالعودة إلى المنزل، والاستماع إلى ما تريد السيدة نوال قوله فربما تنوي إخباره بما أخفته عنه منذ البداية.

وصل إلى شقة طارق ورن الجرس مراراً لكن لم يفتح أحد، فأمر رجلي الشرطة المرافقين له بكسر الباب، بعدها تجولوا في الشقة بحثاً عن السيدة نوال لتتجمد أعينهم من هول المفاجأة وقد وجدوها جثة هامدة!

الجزء السادس

حالة من الحزن المغلف بالشعور بالذنب انتابت المحقق مراد وهو يتفحص جثة السيدة نوال وهي ترقد على سريرها جثة هامدة، لقد أعطى الفرصة للقاتل دون أن يقصد ليفعل فعلته بالقبض على طارق الذي ثبت بالدليل القاطع بعد هذه الجريمة المحزنة بأنه بريء، ولكن لماذا السيدة نوال؟ ما الذي كانت تعرفه؟ بزغت الإجابة من بين ثنايا عقله:" كانت تعرف القاتل من البداية! ربما تكون قد شاهدته! ولكن لماذا لم تخبرني؟"

اجتاحت الأفكار عقله وهو ينظر إلى علبة الدواء الفارغة بجوار جثتها، وقد قطع شروده صوت آدم يقول في تعجب:

-"لقد انتحرت! ربما من شدة الحزن على طارق"

نظر مراد إلى تلك العلامات الزرقاء على يديها وهو يعقب بقوله:

-"بل أجبرها القاتل على تناوله ليبدو الأمر وكأنه انتحار، لكن جسدها الضعيف فضحه"

ثم أمر أحد رجال الشرطة باستدعاء البواب وزوجته في الحال، لكن أتته إجابته لتضاعف من حيرته فقد غادرا المنزل بعد انصراف رجال الشرطة والقبض على طارق، عادا إلى بلدتهما في إجازة مفتوحة، بحجة أن ما حدث قد أرهق أعصابهما كثيراً، لكن شعبان أخبر سارة قبل انصرافه بأنه سيعود فوراً إذا تم استدعاؤه من أجل التحقيق.

جلس مراد يلتقط أنفاسه قليلاً قبل أن يبدأ بإعادة التحقيقات مع جميع سكان المنزل ثانيةً، وهو يحاول التفكير في هدوء، غمغم محدثاً آدم:

-"كيف دخل القاتل إلى الشقة؟ إذا كان قد دخل عبر الباب فعدم وجود أثر لخدوش أو كسر يؤكد أن السيدة نوال تعرف القاتل وهي من قامت بفتح الباب بنفسها، ولكن هذا غير منطقي إن كانت تعرف حقيقة كونه القاتل، لا أظن أنه دخل من الباب"

انتفض واقفاً وجعل يفحص شبابيك الشقة، لكن تضاعفت حيرته حينما وجدها كلها مغلقة!

تملكته الحيرة وقرر طرق بابٍ آخر، فقام بالبحث عن هاتفها لعله يعثر فيه على طرف خيط يدله على شيء، وجده في درج الخزانة، فسارع بتفتيشه وقد سهل عليه الأمر كون الهاتف مفتوح بلا كلمة مرور أو أي وسيلة أمان أخرى، لتستوقفه صورة غريبة في ملف الصور بتاريخ الأمس، لكنها كانت مهزوزة للغاية يظهر فيها النصف السفلي من شخص ما بدءاً من ذراعيه، لا يمكن الاستدلال منها على هويته، يبدو أنها التقطتها على عجلة أثناء حركة ذلك الشخص أو بالأحرى هروبه، هذا يؤكد فرضية علمها بالقاتل! صاح في غضب:

-"لكن لماذا لم تخبرني منذ البداية؟"

قام بتكبير الصورة إلى الحد الأقصى ليجد في إحدى يدي الشخص في الصورة كيس أسود، ويحمل في يده الأخرى شيءٌ مستطيل متوسط الحجم، أزرق اللون، لم يحتاج الأمر أكثر من عدة ثواني ليهتف قائلاً:

-"ملف قضية! لا شك أنه ملف القضية رقم 31!"

أبلغ المحقق مراد أوامره إلى رجال البحث الجنائي، برفع البصمات من شقة السيدة نوال، وإنهاء إجراءات نقل جثمانها إلى المشرحة، وكذلك التحفظ على جميع الموجودين بالمنزل ببقائهم بداخل شققهم، كما أمر باستدعاء شعبان ووفاء على الفور، بينما اتجه هو و آدم إلى شقة أشرف، وقد اتخذ قراره بمراجعة جميع الأوراق والملفات الموجودة بالمكتب لعله يصل إلى أية معلومة تقوده إلى تلك القضية التي بات يقيناً بأنها الدافع الحقيقي خلف وقوع الجريمتين، دخلا إلى غرفة المكتب ثم جعلا يبحثان في جميع الأدراج وعلى سطح جميع الأرفف عن أية أوراق لم يلاحظا وجودها سابقاً، لكن بلا جدوى فجلسا يلتقطان أنفاسهما قبل أن يقول آدم مفكراً:

-"أعتقد أن جريمة قتل أشرف لم ينفذها شخصٌ واحد، شخصٌ وضع له السم في الطعام خارج المنزل، والآخر كان في انتظاره هنا ليكمل الخطة"

أثارت عبارته انتباه مراد لنقطةٍ مهمة "طعام خارج المنزل"! فقام مسرعاً إلى صندوق القمامة بالمطبخ وأخرج منه ذلك المنديل الذي رأياه سابقاً، فرده جيداً ليفحصه بدقة، فكانت المفاجأة بانتظاره رقم من ست خانات كُتِب بداخله، اتسعت حدقتاه في دهشة وهو يفكر في معنى تلك الأرقام، ثم قال مخاطباً آدم:

-" ربما ذلك المنديل لا يعود للقتيل كما ظننا سابقاً"

ارتفع حاجبي آدم في عدم فهم، فتابع:

-" اتبعني وستفهم ما أقصده" قالها وتحرك مسرعاً إلى الخزنة الفارغة، أغلق بابها ثم ضغط الأزرار بتسلسل الأرقام المكتوبة على المنديل ففُتح على الفور، فغر آدم فاه وهو يسأله متعجباً:

-"كيف عرفت ذلك؟!"

-" أعتقد أنني قد اقتربت من فهم ما حدث، القاتل أو معاونه كان على علمٍ بوجود ملف القضية 31 بداخل الخزنة، واستغل أعراض التسمم التي بدأ أشرف يشعر بها في إجباره على إخباره برقمها السري وكتبه على ذلك المنديل"

ثم انتبه إلى شيء هام، فقال وهو يتحرك نحو باب الشقة:

-"لقد تذكرت أنني قد رأيت أحد فروع ذلك المطعم بالقرب من هنا، يلزمنا زيارة عاجلة إليه"

وصلا إلى فرع المطعم، فأفصح مراد عن هويته حتى يتعاون معه العاملون هناك، طلب مراجعة كاميرات المطعم لليوم السابق، لكن ذلك لم يسفر عن أية نتيجة فلم ير أي أحد من سكان منزل مختار هناك، أصابه الإحباط قليلاً، ثم طلب منهم مراجعة الطلبات لليوم ذاته إن كان قد تم طلب من عنوان منزل مختار، تهللت أساريره حينما أتته الإجابة ب"نعم"، لكن امتقع وجهه عندما عرف أن الطلب كان بإسم " جميلة رضوان"!

عاد إلى منزل مختار وعقله يكاد يُجن، يعجز عن إيجاد تفسير منطقي يجمع تلك الخيوط سوية، استقبله أحد رجال الشرطة وهو يقول في ارتباك:

-"اصعد إلى الأعلى بسرعة سيادة المحقق، فتلك الفتاة المدعوة جميلة في حالة انهيارٍ تام بعدما عرفت بموت السيدة نوال، وتأبى مغادرة شقتها، صعد مراد ومعه آدم راكضين إلى الأعلى لتتجمد أقدامهما عندما وقعت أنظارهما عليها وهي تصرخ في جنون مناديه باسم السيدة نوال، يتشنج جسدها على نحوٍ مثيرٍ للشفقة، وسارة

أختها تحاول جاهدةً تهدئتها وهي تنوح هي الأخرى حزناً على السيدة نوال، صاح فيها مراد آمِراً:

-"أحضري لها الدواء الذي كتبه لها الطبيب حازم حالاً"

أومأت سارة برأسها إيجاباً ثم نزلت مسرعة أحضرته وأعطته لها، ثم ظلت بجانبها حتى هدأت تماماً، بعدها قام مراد بمساعدة سارة في إنزالها إلى شقتها، ثم وضعاها على سريرها لترتاح، خرج مراد من الغرفة وانتظر دقائق حتى غادرتها سارة بدورها، فسألها في صرامة:

-"هناك سؤال هام أريد معرفة إجابته حالاً، هل طلبت جميلة بالأمس بيتزا من المحل الموجود في أول الشارع؟"

ارتفع حاجبي سارة في دهشة وأجابته في حيرة:

-"لا علم لدي! فأنا خرجت إلى العمل في التاسعة صباحاً وعدت قبل نزول طارق بدقائق كما أخبرتك، لكنني أستبعد ذلك تماماً فجميلة تكره الأكل خارج المنزل وترفضه كلياً"

-"لقد تحققت من ذلك بنفسي من داخل المحل، وسألت عامل التوصيل الذي أحضره إلى هنا وأكد لي رقم الشقة وأخبرني عن الفتاة التي استلمت منه الطلب وأعطته النقود فتأكدت من كونها جميلة"

-"ذلك غريب حقاً!"

-"هل يمكن أن تكون قد استقبلت ضيوف على حين غرة بالأمس فلجأت إلى طلب البيتزا كحلٍ سريع لضيافتهم؟"

-"أقسم لك سيادة المحقق أنني لا أعرف أي شيء، وقد اتصلت بها نحو الساعة الثالثة عصراً لأسألها إن كانت بحاجة إلى أية طلبات أحضرها حين عودتي، ولم تخبرني بوجود ضيوف"

أومأ مراد برأسه مصدقاً لكلامها ثم مط شفتيه قائلاً:

-"سأنتظر حتى تهدأ أعصابها قليلاً ثم أسألها"

دخل أحد رجال الشرطة في تلك اللحظة ليخبر مراد بوصول شعبان وزوجته، فخرج وبصحبته آدم للتحقيق معهما، وجد وفاء في حالةٍ ترثى لها من الحزن وهي تجهش بالبكاء بعدما عرفت بما حدث للسيدة نوال، ضيق حدقتيه وهو ينظر إليها متشككاً لينتفض قلبها بين ضلوعها وهو يسألها في حدة:

-"هل صعدتي إلى شقة السيدة نوال بعد القبض على طارق؟"

ازدرت ريقها وهي تجيبه في تلعثم:

-"نعم! لكني لم أكن بمفردي، بعد القبض على طارق ظلت السيدة نوال على كرسيها المتحرك أعلى السلم، تصرخ مطالبةً بالحديث معك ومناديةً ببراءة طارق حتى أُغشي عليها، هُرِعنا إليها أنا والآنسة ساره ومعنا جميلة، وأدخلناها إلى شقتها ووضعناها على سريرها، ثم أصابت الآنسة جميلة تلك النوبة، فنزلت سارة وأحضرت لها دواءها وظلت بجوارها حتى هدأت، ثم استعادت السيدة نوال وعيها لكنها شرعت في النواح ثانيةً، فأعطتها سارة من الدواء المهدئ الخاص بجميلة، فلم تمض دقائق حتى غطت السيدة نوال في نومٍ عميق.

ثم طلبت مني سارة إعداد طعام للسيدة نوال فدخلت إلى المطبخ، أثناء ذلك صعدت إلينا السيدة هدى لتطمئن عليها، لكنها لم تبق طويلاً فقد ناداها زوجها علاء منفعلاً فاستأذنت ونزلت، وبعدها بدقائق أخبرتني سارة بأنها ستأخذ جميلة إلى شقتهما لترتاح وغادرتا، وبقيت أنا حتى أنهيت إعداد الطعام ثم غادرت مباشرةً"

-"لم تستيقظ السيدة نوال قبل مغادرتك؟"

-"ألقيت نظرةً عليها قبل نزولي لأخبرها بمغادرتي وإن كانت في حاجةٍ إلى شيء لكنها كانت لا تزال نائمة فلم أشأ إزعاجها"

-"هل تركت باب الشقة مفتوح عند مغادرتك؟"

-"نعم تركته مواراباً، ليسهل علينا الدخول للاطمئنان عليها، طلبت منى سارة فعل ذلك قبل نزولها هي وجميلة"

نظر إليه آدم نظرةً ذات مغزى وقد عرف إجابة سؤاله الذي كان يحيره، ثم انتقل للحديث مع شعبان فسأله قائلاً:

-" متى غادرتما المنزل؟"

أجابه في ارتباك:

-"بعد أن أبلغتنا الشرطة بحرية دخولنا وخروجنا منه، لم تكن وفاء قادرة على البقاء فيه أكثر، ففضلت أخذها إلى البلدة حتى تهدأ قليلاً"

-"هل غادر أحد السكان شققهم قبل مغادرتكما؟"

-"نعم خرجت السيدة هدى، لكن السيد علاء بقي في منزله، أما سارة وجميلة فلم يخرجا، وبالطبع لم تخرج السيدة نوال من شقتها"

-"وهل دخل أحد غريب إلى المنزل اليوم؟"

-"نعم، جاء السيد أكرم لزيارة سارة وجميلة، لكنه لم يمكث طويلاً"

-"هل صعد إلى شقة السيدة نوال؟"

-"لا علم لدي"

ثم تذكر شيء آخر فاستطرد حديثه قائلاً:

-" حينما ذهبت لأخبر الآنسة سارة بشأن مغادرتنا، جاءتها مكالمة من الطبيب حازم كان يطمئن على حالة الآنسة جميلة وفهمت من حديثها بأنه ينوي القدوم لزيارتها، لكننا غادرنا قبل وصوله"

تابع مراد التحقيق معهما وآدم يسجل كل ما يدور بينهم، لكن الأفكار بداخل عقل مراد كانت تدور كطواحين الهواء، أنهى تحقيقه معهما وعاد مسرعاً إلى سارة يسألها في جديةٍ بالغة:

-"ما سبب زيارة أكرم لكما اليوم؟ وهل صعد إلى شقة السيدة نوال؟"

-"جاء ليطمئن علينا بعد ما حدث، ويسألني عن طارق إن كان أخبرني بأي شيء يؤكد صلته بمقتل خالي أشرف، لكني أكدت له بأنه لم يفعل، بدا عليه الإرهاق الشديد والتأثر فقد كان في غاية الأسف حزناً على طارق، فانصرف على أن يعود لزيارتنا لاحقاً"

-"هل خرجت بصحبته إلى خارج المنزل أم أنه غادر الشقة وانصرف وحده؟"

لم تفهم سارة الغاية من سؤاله لكنها أجابته قائلةً:

-"لا كنت أنوي مرافقته للخارج بالفعل لكنه طلب مني البقاء فقد أثقل النعاس جفوني من قلة النوم، لذلك تركني لأنام وغادر وحده"

-"وهل صعدتي إلى شقة السيدة نوال بعد نزول وفاء، أو بعد مغادرة أكرم؟"

-" كنت أنوي الصعود إليها بالفعل بعد نزول وفاء، ولكن حضور خالي أكرم جعلني أبقى معه، وبعد مغادرته كان النعاس قد أحكم سيطرته عليّ فأنا لم أذق النوم منذ ما حدث لخالي أشرف بسبب نوبات الهلع التي انتابت جميلة، فخلدت إلى النوم ولم استيقظ سوى مع طرقات الشرطة على الباب ليبلغونا بما حدث للسيدة نوال وما يتبع ذلك من تعليمات يتوجب علينا الالتزام بها"

صمت مراد لثواني مفكراً قبل أن يطرح عليها سؤاله التالي:

-"هل جاء الطبيب حازم اليوم للاطمئنان على جميلة؟"

هزت رأسها نافيةً وهي تجيبه:

-" قال بأنه سيأتي ليطمئن عليها بعد أن ينهي عمله، لكنه لم يأتِ حتى الآن"

-"وكيف حالها؟"

-"لا تبدو بخيرٍ على الإطلاق، فعيناها خاويتان ونظراتها شاردة وكأنها في عالمٍ آخر لا تتكلم ولا تجيب علي، أنا قلقةٌ عليها للغاية"

شعر مراد بالأسف لحالها فهي تبدو فتاة ضعيفة ورقيقة للغاية، وذلك تحديداً ما يعصف بعقله بشأنها لا يُعقل أن تكون هي من قتل خالها أشرف أو السيدة نوال، شيءٌ ما خاطئ فيما يحدث، دخل إلى غرفتها ليطمئن عليها فرق قلبه لحالها كثيراً، حاول الحديث معها ليسألها عن طلب تلك البيتزا، لكن لم يبدو عليها أنها قد سمعته من الأساس عيناها كالحجر مثبتتان على نقطة في اللاوجود لا تستجيبان لأية حوار، جلس في أسف بجوارها ثم طلب من سارة استدعاء الطبيب حازم على الفور فحالة جميلة تستلزم وجوده، خرجت سارة من الغرفة للاتصال به، فهيمنت حالة من الصمت على أرجاء الغرفة، قبل أن تحرك جميلة عينيها في بطء نحو المحقق مراد، وهي تطرح عليه أغرب سؤال توقع سماعه على الإطلاق:

-" لماذا لا يموت الشيطان؟"

الجزء السابع

قبل سنوات....

-"لماذا لا يموت الشيطان؟"

سألت جميلة والدتها وهي تمشط لها شعرها، فتعجبت سمية من سؤالها لكنها أجابتها في هدوء:

-"تلك هي سنة الحياة يا جميلة سيبقى الشيطان لتظل المعركة بين الخير والشر دائرة حتى قيام الساعة"

قالت جميلة في حزن:

-"لكن لو مات الشيطان ما كان والدي تركنا وحدنا هكذا، وما كان خالي أشرف استولى على أموالك"

تنهدت سمية في حسرة وهي تجيبها:

-"الشيطان ليس واحد فقط كما تظنين يا جميلة، هم جنسٌ آخر وهناك أعداد هائلة منهم، ومنهم أيضاً من ينتمون لبني البشر، يُدعون ب"شياطين الإنس"، لذلك لا يمكننا القول بأنه لا يموت، بل يموت شيطان فيأتي غيره وهكذا، حلقه سنظل ندور فيها إلى الأبد!"

****

تعجب مراد لذلك السؤال الذي طرحته عليه جميلة، وظل صامتاً يكتفي بالتحديق فيها وقد ظن أنها فقدت عقلها، أو أنها تهذي من أثر صدمة موت نوال، أسند إلى آدم مهمة عاجلة غادر على أثرها المنزل في الحال، ثم عادت سارة بعد أن قامت باستدعاء الطبيب حازم على وجه السرعة كما طلب منها مراد، بعدها استغرق في التحقيق معها بشأن ما حدث للسيدة نوال.

لم يمضِ الكثير من الوقت حتى حضر الطبيب حازم مذعوراً لخبر مقتل السيدة نوال الذي أخبرته به سارة قبل قليل، ما أن رأته جميلة حتى بكت في حرقة وكأنه والدها وليس طبيبها المعالج، ربت على كتفها في حنو وبعد الكشف عليها، قال مخاطباً مراد:

-"أعلم سيادة المحقق أن الوضع في المنزل ليس مناسباً لما سأطلبه، لكنني أرجو منك اللجوء إلى روح القانون، فجميلة تعاني من حالة انهيار عصبي حاد وفي حاجةٍ ماسة للانتقال إلى المستشفى حتى لا تتدهور حالتها أكثر"

هزَّ مراد رأسه في تفهم وهو يجيبه:

-"أنا أفهم ذلك حضرة الطبيب، لا بأس سأسمح لها بالمغادرة إلى المستشفى، ولكنها ستبقى تحت حراسة الشرطة حتى انتهاء التحقيقات"

-"أشكرك كثيراً سيد مراد يمكنكم نقلها إلى هذا المشفى في أي وقتٍ اليوم، وأنا سأبلغهم على الفور بتجهيز غرفة لها من الآن"

أنهى عبارته وهو يخرج من جيبه بطاقة تحمل اسم المشفى وعنوانه، أخذه منه مراد وشكره على اهتمامه، ثم طلب منه أن يكتب له رقم هاتفه على ظهر البطاقة ليتصل به حين وصولهم إلى المستشفى، ففعل حازم ثم انصرف.

لم تمضِ ساعتين حتى كانت جميلة بداخل المستشفى بالفعل، وعلى باب غرفتها يقف شرطيان لحراستها، بينما بقيت سارة في المنزل، اتصل مراد بحازم وأخبره بوصولهم فأجابه بأنه سيحاول القدوم إلى المستشفى لاحقاً إن استطاع أو أنه سيأتي لزيارتها في الغد، قام الأطباء بفعل اللازم مع جميلة ثم أعطوها دواء مهدئ فغطت في نومٍ عميق لساعات.

بعد بضع ساعات وصل الطبيب حازم إلى المستشفى واتجه رأساً إلى غرفتها، حيا الشرطيان في ثقة وهو يدخل إلى غرفتها دون اعتراضٍ منهما، فهيئته تؤكد كونه طبيب لا حاجة لمنعه من الدخول، فتحت عينيها المتثاقلتين بالنعاس فرأته يقترب منها، ابتسمت له في سرور، فبادلها الابتسامة قائلاً:

-"كيف حالك يا صغيرتي؟ أعدكِ بأنكِ ستكونين على خير ما يرام، أريد أن أخبركِ شيئاً!

ربما لا وجود لإجابة شافية لسؤالك الذي يحيركِ منذ سنين طويلة، "لماذا لا يموت الشيطان؟" لكنني عثرت على شيءٍ أفضل من ذلك، سيريح قلبك من ذلك التساؤل المجهد للأعصاب، ماذا لومتِّ أنتِ بدلاً من الشيطان، ألن تحصلي على النتيجة ذاتها؟"

اتسعت عيناها الناعسة في ذهول وهي لا تفهم ما الذي يريد قوله بالضبط، فاستطرد موضحاً:

-"إن متِّ أنتِ على يد شيطان فستذهبين إلى الجنة وترتاحين من عناء الدنيا وأسئلتها التي بلا إجابة، وسأتولى أنا تلك المهمة يا عزيزتي، عذراً صغيرتي فثرثرتك البريئة أصبحت تشكل خطراً كبيراً عليّ!"

تبدلت ملامحه على نحوٍ مباغت وأخرج من جيبه عقار بداخل حقنة وقربه ليغرسه في وريدها وهي مستسلمةٌ رغماً عنها نتيجة تأثير الأدوية المهدئة، حاولت الصراخ فلم تتمكن من ذلك، تلاحقت أنفاسها وتضاعفت دقات قلبها حتى كاد يتوقف،

-"توقف عن الحركة أيها الطبيب حازم!"

قالها المحقق مراد سراج الدين وهو يوجه مسدسه إلى وجهه بعد أن خرج من خلف الدولاب المجاور له، ودخل الشرطيان إلى الغرفة في الحال، واللذان سارعا بدورهما بوضع الأصفاد في يديه، وهو يتنقل ببصره بينهم في ذهول ويغمغم في خفوت:

-"ولكن كيف؟"

ابتسم مراد في ظفر وهو يجيبه:

-"الخطأ ذاته الذي يقع فيه كل مجرم يظن بأنه يمسك بمقاليد الأمور، ألا وهو الغرور!

تعمدت بإخباري بانشغالك وبأنك ربما تأتي غداً لتبعد الشبهة عن نفسك لكنني كنت على يقين بأنك قادم بلا أدنى شك، لتقضي على الدليل الأخير لارتكابك تلك الجرائم، ألا وهي جميلة!

شككت في أمرك منذ ذلك اليوم الذي طلبت فيه الصعود إلى السيدة نوال، حينما سألتها لأتأكد إن كانت هي من طلبت صعودك إليها وفهمت من ردة فعلها أنها لم تفعل، ثم تكذيبك لمكالمة طارق الذي أثار بداخلي عاصفة من الحيرة إلى أن فهمت غايتك الحقيقية وهي دفعي للشك فيه، ثم تضاعفت شكوكي مع اتصالك بسارة بحجة الاطمئنان على جميلة وقد كان غرضك الأصلي معرفة إن كانت السيدة نوال قد

وشت بك أم لا حينما رأتك تغادر شقة المرحوم أشرف، ولما أخبرتك سارة بشأن القبض على طارق، كانت فرصتك الذهبية للتخلص من نوال فبعد القبض على ابنها لن تصمت ولو كلفها ذلك حياتها فصمتها من الأساس كان خوفاً عليه، ظنت بذلك أنها تحميه منك!

طلبتُ من مساعدي التحري عن تاريخك الجنائي، وكما توقعت عرفت حقيقة القضية 31 التي دفعتك للتخلص من محاميك أشرف، والذي لا يقل عنك فساداً، قضية تورط في تجارة أعضاء بشرية، كان من شأنها أن تبقيك في دهاليز السجون ما تبقى من عمرك لولا ذلك المحامي الذي يحيا بلا ضمير والذي تمكن ببراعة وبدفع الكثير من الأموال لتغيير أقوال الشهود من تبرأتك منها، لكنها تبقى وصمة عار في تاريخك من شأنها تشويه سمعتك وضياع حاضرك ومستقبلك إن تم فضح خباياها، وهو كعادته يهوى الابتزاز واستغلال من حوله، ثم نشأ بينكم خلافٌ

لازلت أجهل كنهه دفعك للتخلص منه، واستغليت ثقة تلك الفتاة المسكينة بك لتقوم بتنفيذ جريمتك، والتي ساعدها الحظ بتنظيف وفاء للشقة ليتم مسح بصماتها...

****

في الساعة الثانية عشر ظهراً يوم مقتل أشرف..

كان حازم على علمٍ مسبق بمواعيد عمل سارة، وبقاء جميلة وحدها في ذلك الوقت، فتحيَّنَ فرصة انشغال شعبان وزوجته في تنظيف سيارات سكان المنزل المجاور، وتسلل إلى الداخل دون أن يراه أحد، طرق باب جميلة ففتحت له في سرور، أخبرها بأنه وجد حلاً لمشكلة تعثر السداد التي تواجهها أختها سارة والتي كانت قد أخبرته عنها سابقاً، فأقنعها بأن تصعد إلى خالها أشرف وبحوزتها طعام كما تحاول أن تفعل مراراً، وتتجاذب معه أطراف الحديث حتى يلين قليلاً من ناحيتها هي وأختها، ثم تترك المرحلة التالية عليه هو فسيتمكن بطريقته الخاصة من إقناع أشرف بحل المشكلة، أخبرته بأن ذلك لا يجدي نفعاً معه، فأجابها بأن تخبره بما سيقوله لها بالحرف الواحد وستكتشف بنفسها كيف سيسمح لها أشرف بالدخول، اقترح عليها طلب بيتزا جاهزة نظراً لضيق الوقت، لكن المهم ألا تأكل شيئاً من الطعام الذي ستقدمه لأشرف حتى تظهر له مدى اهتمامها به، لم تكترث لذلك كثيراً فهي لا تحب الأكل من خارج المنزل من الأساس.

طلبت البيتزا كما أمرها حازم، ولم تلاحظ تلك المادة التي وضعها فيها خلسة أثناء تجهيزها لنفسها قبل أن تصعد إلى شقة أشرف، طرقت الباب ففتح لها يبتسم في اقتضاب وقد خالجه شعور طفيف بالذنب بعد أن نهرها وأغلق الباب في وجهها بالأمس، ثم اعتذر لها متحججاً بانشغاله كعادته، فقالت له كما أخبرها حازم:

-"أريد أن أحكي لك عن كارثة وقع فيها خالي أكرم"

كان ذلك هو الطُّعم الذي أيقن حازم أنه لن يجد الرفض من قِبل أشرف أبداً، وبالفعل سمح لها بالدخول، ثم لم يستطع مقاومة رائحة البيتزا الشهية فأكل معظمها وهو يستمع لحديثها في اهتمام.

بعد نحو ساعة إلا ربع وقد اقتربت الساعة من الثانية مساءً، اعتذر لجميلة فعليه الانصراف حالاً لموعدٍ هام، نزلت وهي تقفز من شدة الفرح فلم تتوقع أبداً أن يسير الأمر على هذا النحو، كان حازم لا يزال في انتظارها على أحر من الجمر ليطمئن على نجاح خطته، أخبرته بما حدث فطلب منها في جدية بالغة أن تبقي الأمر سراً بينهما ولا تخبر به مخلوق بالأخص سارة، حتى يخبرها هو بحل المشكلة ثم انصرف.

هكذا ظنت هي لكنه كان قد أعد لجريمته سابقاً، فهو على علمٍ بتفاصيل كل ما يحدث في المنزل والذي كان لجميلة الفضل في جزء كبير منه كونها تعتبره في مكانة والدها الغائب بإرادته، وتحكي له باستفاضة عن كل التفاصيل التي يسألها عنها، فتمكن بسهوله من أخذ مفتاح شقة أشرف واستخرج نسخة عنه في وقتٍ سابق، وبعد أن أوهم جميلة بمغادرته صعد إلى سطح المنزل، ليراقب الوضع دون أن يراه أحد، شاهد أشرف حينما غادر وعرف بأنه سيعود قريباً حينما يبدأ تأثير التسمم في النيل منه، فالجرعة التي وضعها له لن تقتله على الفور!

انتظر حتى أنهت وفاء تنظيف شقة أشرف وغادرتها، ثم نزل إليها ودخلها في هدوءٍ حذر، كان يغطي حذاءه بغطاء بلاستيكي ويرتدي في يديه قفازات حتى لا يترك أثراً خلفه، دخل إلى غرفة المكتب وجعل يبحث عن ملف القضية الخاصة به، قضية رقم 31 لكنه لم يجد له أثراً، أدرك أن أشرف قد اتخذ احتياطاته بعد شجارهما الأخير، فثارت ثائرته وارتبكت حساباته، عليه الانتظار حتى عودة أشرف ليجبره على إعطائه الملف، جلس في انتظاره وفي عقله تدور أحداث الشجار الأخير...

منذ خلصه أشرف من تلك القضية وهو لا يتوانى عن تهديده ونهبه بين الحين والآخر، ليس لحاجته إلى المال، ولكنها متعته الأولى في الحياة إذلال الآخرين والاستمتاع بقهرهم، كما فعلت به زوجته التي كان يحبها كثيراً سابقاً، فقد قهرته بعد تأكدها من أنه لن يُرزق بالأطفال أبداً، تركته وتزوجت غيره بعد فترة قصيرة للغاية لتغرس في قلبه خنجر الذل والإهانة الذي بقي ينزف حتى موته، فتحول إلى إنسان بلا قلب، يشفي وجعه بإيلام الآخرين، نهشته الغيرة من إخوته لكونهم رزقوا بالأطفال جميعاً، فانتقم منهم على طريقته الخاصة.

رفض حازم دفع ذلك المبلغ الكبير الذي طلبه منه قبل أيام، فهدده أشرف بإخراج ملف القضية القديمة وفضحه على وسائل التواصل بتسليط عدد من الأشخاص عليه، ليحكوا على التجمعات المختلفة عن تعرضهم لسرقة أعضائهم على يديه، ويتبع ذلك نشر ملف القضية 31، مما من شأنه أن يدمر سمعته كلياً، بل وقد يفتح عليه أبواب المساءلة القانونية والتي ستفضح بدورها العديد من جرائمه الطبية، أقسم حازم على أنه سيصل إلى ذلك الملف مهما كان الثمن، مما جعل أشرف يأخذ احتياطاته ويضعه في الخزنة.

بدأ أشرف يشعر بتوعك في معدته، فسارع بالعودة إلى المنزل، ليجد حازم في انتظاره، باغته ذلك الأخير وأمسك بذراعيه خلف ظهره وهو يهمس في أذنه قائلاً:

-"ليس لديك الكثير من الوقت لتضيعه، فقد وضعت لك السم في تلك البيتزا التي أكلتها قبل ساعات وسيُنهي أمرك قريباً، انتفض جسد أشرف في هلع وتوسل إليه لينقذه، فقال له حازم:

-"أخبرني أين وضعت ملف القضية أولاً، وسأعطيك عقار مضاد للسموم سينقذ حياتك"

بدأ أشرف يترنح وخرجت كلماته ثقيلة وهو يخبره بأنه في الخزنة، خشي حازم أن يموت قبل أن ينطق رقمها فسارع بأخذ منديل كان على الطاولة المجاورة له والذي كان مرافقاً للبيتزا التي طلبتها جميلة، وأعطا له قلم ليدون الرقم بسرعة، ففعل أشرف ما طلبه منه، تعجل حازم بفتح الخزنة وأخذ الملف، ثم التفت نحو أشرف بنظرة شيطانيه قائلاً:

-" هل صدقت حقاً بأنني سأنقذك؟! لقد تأخرت تلك الخطوة كثيراً، ستكون في الجحيم بعد دقائق من الآن مكانك الذي تستحقه"

استجمع أشرف ما تبقى من قواه وأمسك بالقاعدة الخشبية المثبت عليها ذلك العمود المعدني على سطح مكتبه، وحاول مهاجمة حازم، الذي تفاداه بدوره بسهولة نتيجة تلك الحالة التي بات عليها أشرف، سحب حازم العمود المعدني من يده قبل أن تخور قواه ويلفظ أنفاسه الأخيرة فسقط بين ذراعيه، لم يشعر حازم بنفسه سوى وهو يغرس ذلك العمود في عنقه يُحركه الحقد والكره الدفين الذي يكنه له في أعماقه، ثم ألقى بجثته أرضاً!

تذكر أمر البيتزا المسمومة! فاتجه إلى المطبخ باحثاً عما تبقى منها ليتخلص منه، كرمش المنديل المدون عليه رقم الخزنة وألقاه في سلة القمامة، بعدها بحث عن البيتزا فوجدها في الثلاجة، فقام بوضعها بداخل أحد أكياس القمامة السوداء، ثم

فكر قليلاً في كيفية مغادرته للمنزل دون أن يراه أحد، كان قد سمع حديث نوال وهي تطلب من شعبان الذهاب لإحضار قائمة المشتريات فأدرك أنه غير موجود، لم يتبق سوى وفاء! فجاءته فكرة إرسال رسالة بالطلبات إليها من هاتف أشرف كما اعتاد أن يفعل جميع سكان المنزل فقد رآهم يفعلون ذلك مراراً، أمسك بهاتف أشرف الذي لم يكن من الصعب فتحه بوضع إبهامه عليه ثم أرسل الرسالة، ووقف خلف الشباك المطل على الباب الرئيسي للمنزل وظل يراقبها حتى تأكد من مغادرتها، ثم سارع بالانصراف بدوره.

ما أن غادر شقة أشرف حتى لمح نوال تنظر إليه من خلف باب منزلها الموارب وقد سمعت صوت الجلبة التي أحدثها شجاره مع أشرف، لكنها أغلقت الباب مسرعة عندما أيقنت بأنه رآها، لم يكن لديه الوقت الكافي لفعل شيء حيال ذلك، فقد يعود شعبان في أية لحظة، ركض مسرعاً إلى خارج المنزل، وتخلص من هاتف أشرف بعدما كسَّره، وبقايا البيتزا في مكب للقمامة بعيد للغاية عن المنزل.

اتصلت به جميلة وهي منهارة بعد أن رأت جثة خالها وأعادها طارق إلى المنزل قبل وصول الشرطة، وكان قد عرف بالأمر مسبقاً حينما اتصل به طارق فرفض الحضور وأخبره بأن يبلغ الشرطة، أمر جميلة بألا تخبر أحداً مطلقاً بذهابه إليها

اليوم أو بصعودها إلى شقة خالها وإلا سيتم اتهامها بقتله، ولأنها تثق به كثيراً فعلت ما أمرها به وأخفت ذلك حينما سألها مراد.

كان حازم على يقين من أن جميلة ستنفذ ما سيطلبه منها بالحرف، لكن تبقى نوال مصدر الخطر الحقيقي، لم يكن في حاجة ليخبرها بعواقب حديثها فقد أدركت ذلك وحدها وآثرت الصمت حفاظاً على سلامة طارق، ثم اتصل لاحقاً بسارة بحجة الاطمئنان على جميلة ليعرف آخر تطورات الوضع، فأخبرته بالقبض على طارق، أدرك أن نوال لن تصمت أكثر فأصبح لازماً التخلص منها سريعاً.

وصل إلى منزل مختار وهو مسرور للغاية لمغادرة الشرطة ولرحيل شعبان وزوجته، وقد عرف بذلك أثناء مكالمة ساره، حيث سمعها وهي تعطي الإذن لشعبان بمغادرة المنزل، ثم فسرت لحازم أمر رحيله هو ووفاء، ما كان ليتوقع فرصة كهذه مطلقاً! اتصل بجميلة وسألها إن كانت سارة في المنزل؟ فأخبرته بأنها تغط في نومٍ عميق، كان ينوي الاستعانة بجميلة لخداع نوال وجعلها تفتح باب شقتها، لكنه غير خطته حينما حكت له تفاصيل كل ما حدث لنوال بعد القبض على طارق، وأخبرته كذلك بأنها في انتظار استيقاظ سارة لتصعدا إليها وتبقيان بجوارها، فهي تخشى الصعود وحدها حتى لا تداهمها تلك النوبات دون وجود سارة بقربها، وبالطبع لم تنسَ إخباره بشأن باب شقتها المفتوح في وسط الحديث!

تهللت أساريره فكل شيء مهيئ لإتمام خطته، دخل إلى المنزل دون أن يشعر به أحد وصعد رأساً إلى شقة نوال، التي كانت ممددةً على سريرها في وهن يتكالب عليها الألم والضعف والحزن، اتسعت عيناها في ذعر حين رؤيته وهمت بالصراخ لكن خرج صوتها ضعيفاً للغاية، قيدها من يديها، ثم فتح فمها وأفرغ علبة الدواء فيه رغماً عنها، كان يعلم يقيناً بأن جسدها الهزيل لن يصمد طويلاً وسينتهي أمرها خلال دقائق معدودة!

غادر المنزل وهو لا يفكر في شيء سوى ما ستفعله جميلة بعد تلقيها للصدمة الثانية حينما تعلم بموت نوال، لم يكن يضمن سكوتها هذه المرة، فلا شك بأن المحقق مراد سيعيد التحقيقات مع الجميع ثانيةً وربما تثرثر بما لا ينبغي قوله فتورطه، لحسن حظه أن حالة الانهيار العصبي التي انتابتها أخرت الأمر قليلاً، لكنها في الوقت ذاته منحته فرصة ذهبية للتخلص منها، فاتخذ قراره بأنها ستكون ضحيته القادمة.

****

بعد مرور عدة أشهر....

اعتصر الحزن قلب جميلة حينما عرفت بخبر تنفيذ حكم الإعدام في حازم، فبالرغم من علمها بحقيقة كل ما فعله إلا أنها كانت تشفق عليه كثيراً، فليس من السهل نسيان سنواتٍ طوال كانت تعتبره بمثابة والدها، شردت ببصرها وهي تغمغم في خفوت:

-" اليوم مات شيطان آخر!"

تمت

الكاتبة مها سيد عبد الرحمن كاتبة رواية

"جزيرة عين الأرض"

وثنائية سيڤارا "مملكة سيڤارا"، "ملحمة الدماء الزرقاء".

الصفحة الرسمية للكاتبة:

https://www.facebook.com/Maha-Sayed-Abdelrahman-مها-سيد-عبد-الرحمن-117973116713609/

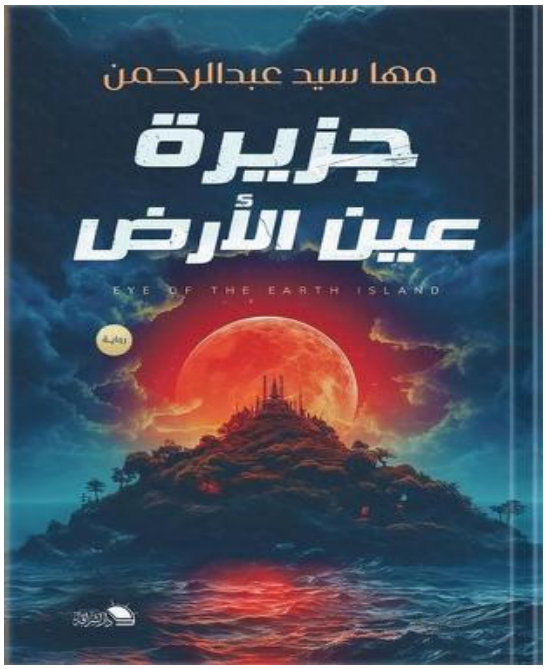

معرض القاهرة الدولي للكتاب
Cairo International Book Fair

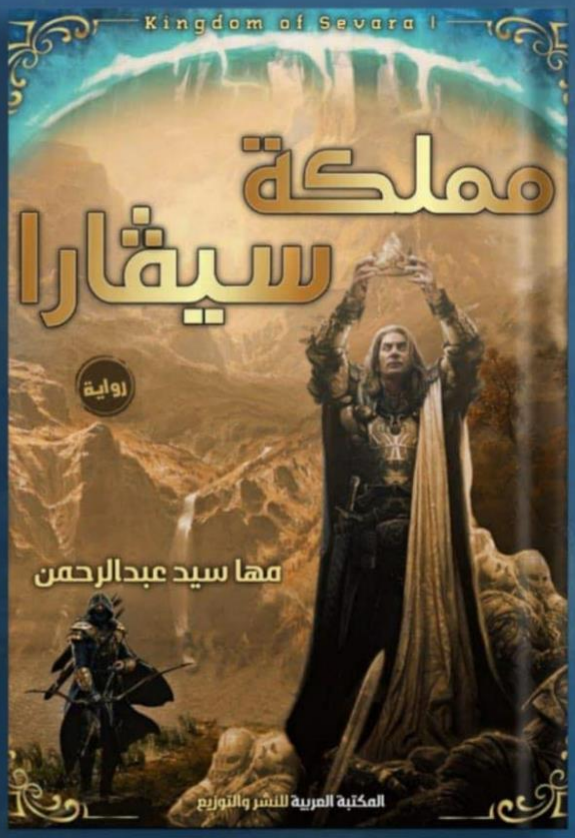

Cover designed by:

AMANY MAHMOUD